العلامة الفقيه محمد جواد مغنيّة

المجالس الحسينية



دار التيار الجديد
دار الجواد



المجالس الحسينية


بسم الله الرحمن الرحيم

المجالس الحسينية

محمد جواد مغنيّة

دار
التيار الجديد

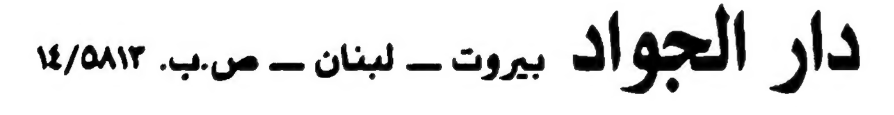
دار
الجواد

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م



دار التيار الجديد للطباعة والنشر والتوزيع
تلفون ٠١/٥٤٤٠٩٠ ـ ٠٣/٥٧٨٨٥٠ ـ فاكس ٠١/٥٤١٩٣٠
الشياح شارع معوض ـ بيروت ـ لبنان


دار الجواد بيروت ــ لبنان ــ ص.ب. ١٤/٥٨١٣

كلمة الناشر

وبعـد:

فإن كتاب المجالس الحسينية هو من نوع جديد بين الكتب الخاصة بهذا الموضوع، فهو يجيب بأجوبة واضحة ومقنعة عن كل ما يجول بأذهان الشباب وغير الشباب ويتساءلون عنه حول إقامة الشيعة عزاء الحسين عليه السلام طوال أيام السنة، وحول البكاء، وصحبة سيد الشهداء النساء والأطفال إلى موقع المعركة، وما إلى ذلك من التساؤلات التي يمكن أن تخطر وتمر بالبال.

وأيضاً في كل مجلس من مجالس الكتاب ثورة عاصفة على الظلم وأعداء الحرية، ومن أجل هذا وغيره أقبل على قراءة الكتاب الشباب المتعلم، ولم يجد فيه المتحذلق منفذاً للطعن والغمز، ونفدت جميع نسخ الطبعة الأولى بوقت قصير، ثم نسخ الطبعة الثانية، وما زال الطلب قائماً وملحّاً.

والحسين عليه السلام هو المثل الأعلى لكل حر في كل جيل، ومن كل دين. . يؤمن بمبادئه ويقدس شخصه العظيم المسلمون وغير المسلمين، لأنها مبادىء الإنسانية تمثلت في جميع مواقفه.

دار التيار الجديد

مقدمة

أبتدىء بسم الله وبحمده، وأصلي على النبي وآله، والسلام على سبطه الشهيد أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام إمام الهدى والعروة الوثقى.

وبعد، فقد اعتاد الباحثون أن ينظروا إلى يوم الحسين عليه السلام على أنه امتداد للصراع بين هاشم وأمية، وأنه نتيجة لحوادث متتابعة، منها محاربة أبي سفيان جد يزيد للرسول صلى الله عليه وآله جد الحسين عليه السلام ومنها محاربة معاوية أبي يزيد للإمام علي عليه السلام أبي الحسين عليه السلام، ومنها وقوف الحسين عليه السلام حائلاً بين يزيد وزينب زوجة عبد اللّه بن سلام، إلى غير ذلك.

وسواء أكان يوم الحسين عليه السلام من ثمرات التخاصم بين الآباء والأجداد، أم بين الأولاد والأحفاد فإن الإمام الصادق عليه السلام قد أوضح سبب هذا العداء بقوله: «نحن وآل أبي سفيان تعادينا في الله، قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله».

وهذه الصفحات تقدم الأرقام على هذه الحقيقة، وأن العداء بينهما إنما هو عداء بين الكفر الذي يتمثل في الأمويين، وبين الإيمان الذي يتجسم في أهل البيت عليهم السلام، وذكرت مع كل رقم جملة تناسبه مما حدث يوم الطف، عسى أن يتلو الموالون لأهل البيت عليهم السلام بعض صفحات الكتاب في المجالس الحسينية، لأشارك في الثواب والحسنات من أحيا أمرهم وعظم شعائرهم.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«اللهم صل على محمد وآل محمد، واشغل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر، وألسنتنا بشكرك عن كل شكر، وجوارحنا بطاعتك عن كل طاعة، فإن قدرت لنا فراغاً من شغل فاجعله فراغ سلامة لا تدركنا فيه تبعة، ولا تلحقنا فيه سآمة حتى ينصرف عنا كتَّاب السيئات بصحيفة خالية من ذكر سيئاتنا، ويتولى كتَّاب الحسنات عنا مسرورين بما كتبوا من حسناتنا....»

لا شيء أسوأ أثراً، وأكثر ضرراً من الفراغ، هذا فقير عاطل عن العمل لا يجد وسيلة تدر عليه ثمن الرغيف، فيجرم، ويحتال بكل طريقة للحصول على العيش، وذاك غني كسول يقتل وقته ونفسه بإدمان الشراب، والإفراط في أنواع الملذات، وثالث يقبض

راتباً، أو يملك عقاراً، أو يجد كفيلاً يؤمن له الحياة، ويتسع وقته لأكثر من الأكل والنوم، ولا شيء يؤهله لغير الأكل والنوم، فيملأ فراغه بالقال والقيل، والاشتغال بهذا طويل، وذاك قصير..

وإذا عرفنا ما في الفراغ من مفاسد، عرفنا السر في قول الإمام زين العابدين عليه السلام: «فإن قدرت لنا فراغاً من شغل فاجعله فراغ سلامة لا تدركنا فيه تبعة، ولا تلحقنا فيه سآمة، حتى ينصرف عنا كتاب السيئات بصحيفة خالية من سيئاتنا، ويتولى كتاب الحسنات عنا مسرورين بما كتبوا من حسناتنا». خاف الإمام من الفراغ، لأنه يؤدي بصاحبه إلى المحرمات والموبقات، فسأل الله ان قدر له شيئاً منه أن يجعله فراغ سلامة لا فراغ تهلكة. فراغ المؤمن الذي يشغل قلبه ولسانه بذكر الله عن عيوب الناس، وعن كل ذكر، وجوارحه بطاعة الرحمن عن طاعة الشيطان.

إن المجرم لا يشعر باللذة في ذكر الله ومرضاته، بل لا شيء أثقل عليه من ذلك، تماماً كالمريض الذي يجد العسل مرّ المذاق، ومن استحوذ عليه الشيطان لا يطمئن قلبه إلى ذكرِ الله وشكره، ولا تسكن نفسه إلا إلى الحرام والمنكرات، ولا يرتاح ضميره إلا بعيوب الناس وأكل لحومهم..

إن الحصول على مرضاة الله سهل يسير، والسبيل إلى طاعته يجدها الغني والفقير، والقوي والضعيف، لأنها ليست سلعة تحتاج إلى مال، وعملاً شاقاً يفتقر إلى قوة، إنها طهارة النفس، وتنزيه اللسان عن الغيبة والكذب، إنها الشغل بذكر الله عن كل ذكر، وبشكره عن كل شكر، فمن حمد الله مخلصاً فهو مطيع، ومن قال حقاً فله الأجر والثواب، ومن أثنى على الصالحين، وأحب عملهم كان معهم، وأي شيء أيسر من الكلام، وتحريك اللسان؟!..

أجل، لا شيء أسهل عليك من أن ترضي الرقيب الذي عناه الله بقوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٨]ترضية بترك الإساءة إلى خلقه، وبكلمة طيبة يسجلها لك كتاب الحسنات، ويدخرونها ليوم يُنادى فيه الناس: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥].

إن تعاليم أهل البيت عليهم السلام لا تنحصر بعلم دون علم، وفضائلهم لا تختص بالكمال في جهة دون جهة، ومبادئهم ليست لزمان دون زمان، إنهم كالقرآن الناطق الذي فيه تبيان كل شيء، فالمجال، إذن، يتسع للعارف الذي قدر له شيء من فراغ أن يملأه بنشر فضائلهم،

وبث تعاليمهم، وإحياء ما تركوه للإنسانية من تراث. فهذه المجلدات، في فقههم ومناقبهم وأخلاقهم وأحاديثهم ومناجاتهم، لا يبلغها الإحصاء، وهي ميسورة لكل طالب، فبدلاً من أن يقتل الوقت بكلام لا طائل تحته يستطيع أن يحدث أو يكتب في جهادهم ونصرتهم للحق وأهله، وفي فلسفتهم في الحياة، وفقههم وأخلاقهم، وأن يفكر ويطيل التفكير في أدعيتهم وكلامهم الذي كانوا يناجون به خالق الكائنات. يستطيع أن يقتبس ما شاء، ومتى شاء من أنوارهم التي لا تبلغ إلى نهاية، ولا تحد بلفظ.

وأي شيء أفضل من الحديث عن العترة الطاهرة ومناقبهم؟! وأي علم أجدى وأنفع من علومهم ومواعظهم؟! إنها تذكر الله، وتبعث على طاعته، والبعد عن معصيته، إنها كالغيث تحيي النفوس بعد موتها، وتجعلها مع الخالدين والأنبياء والصالحين، وبمقدار ما يبلغ الإنسان من علوم أهل البيت يبلغ حده من العظمة والخلود.

إن عظمة الكليني والطوسي والمفيد والحلي والمجلسي والشهيد والأنصاري وغيرهم وغيرهم، لا مصدر لها إلا علوم أهل البيت عليهم السلام، وإلا لأنهم عرفوا

شيئاً من آثارهم، لقد وجد في كل عصر أقطاب من الشيعة تنحني الرؤوس إجلالاً لقدرهم ومقامهم، ويرتبط تاريخ العلوم بتاريخهم، ولا سرّ إلا مدرسة أهل البيت وهدايتهم وحكمتهم ولولاها لم يكونوا شيئاً مذكوراً.

وبالتالي، فإن تاريخ الإمامية في عقيدتهم وفقههم وأدبهم هو تاريخ الولاء لأهل البيت، وهذه كتبهم ومؤلفاتهم تزخر بأقوال الرسول ﷺ ومناقب الأئمة الأطهار عليهم السلام من أبنائه، وأن في هذه الصفحات ذكراً لآل الرسول الأعظم ﷺ، وقد شغلت أمداً من عمري، ولا أعرفها بأكثر من ذلك. والحمد لله الذي هدانا لولايتهم، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

محمد جواد مغنية

الشيعة ويوم عاشوراء

لماذا يهتم الشيعة هذا الاهتمام البالغ بذكرى الحسين عليه السلام، ويعلنون الحداد عليه، ويقيمون له عشرة أيام متوالية من كل عام؟! هل الحسين أعظم وأكرم على الله من جده محمد صلى الله عليه وآله وأبيه علي عليه السلام؟! وإذا كان الحسين إماماً فإن جده خاتم الأنبياء، وأباه سيد الأوصياء! لماذا لا يحيي الشيعة ذكرى النبي صلى الله عليه وآله والوصي، كما يفعلون بذكرى الحسين عليه السلام؟!

الجواب أن الشيعة لا يفضلون أحداً على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. إنه أشرف الخلق دون استثناء، ويفضلون علياً على الناس باستثناء الرسول صلى الله عليه وآله، فقد ثبت عندهم أن علياً قال مفاخراً: «أنا خاصف النعل» أي مصلح حذاء الرسول صلى الله عليه وآله. وقال: «كنا إذا حمي الوطيس لذنا برسول الله» وقال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت له هيبة وجلالة، فلما قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أكلِّمه».

أجل إن الشيعة الإمامية يعتقدون أن محمداً لا يوازيه عند الله ملك مقرّب ولا نبي مرسل، وأن علياً خليفته من بعده، وخير أهله وصحبه، وإقامة عزاء الحسين عليه السلام مظهر لهذه العقيدة، وعمل مجسم لها، وتتضح هذه الفكرة إذا عرفنا هاتين الحقيقتين.

١ ـ تزوج الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ابن ٢٥ سنة، وقبض وله ٦٣، وبقي بعد خديجة دون نساء سنة واحدة، ثم تزوج الكثيرات حتى جمع في آن واحد بين تسع، وامتدت حياته الزوجية ٣٧ عاماً، ورزق من خديجة ذكرين: القاسم وعبد اللّه، وهما الطيب والطاهر، ماتا صغيرين، ورزق منها أيضاً أربع بنات: زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة، أسلمن وتزوجن وتوفين في حياته ما عدا فاطمة، وولدت له مارية القبطية إبراهيم، واختاره الله، وله من العمر سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام، فانحصر نسل الرسول بفاطمة وولديها من عليّ الحسن والحسين عليهما السلام، فهم أهله الذين ضمهم وإياه «كساء» واحد وبيت واحد.

وقد كان هؤلاء الأربعة عليهم السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سلوة وعزاء للمسلمين عن فقد نبيهم، وإن عظم الخطب، لأن البيت الذي كان يأويه ما زال مأهولاً بمن يحب، عامراً

بأهله وأبنائه، وماتت فاطمة بعد أبيها بـ ٧٢ يوماً، فبقي بيت النبي ﷺ مزيناً ومضيئاً بعلي والحسن والحسين عليهم السلام، ثم قتل علي فظل الحسنان، وكان حب المسلمين لهما لا يعادله شيء إلا الحب لنبيهم الكريم، لأنهما البقية الباقية من نسله وأهل بيته، وبعد أن ذهب الحسن عليه السلام إلى ربه لم يبق من أهل البيت عليهم السلام إلا الحسين عليه السلام، فتمثلوا جميعاً في شخصه، فكان حب المسلمين له حباً لأهل البيت أجمعين، للنبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، تماماً كما لو كان خمسة أولاد أعزاء، ثم فقدت منهم أربعة، وبقي منهم واحد فإنه يأخذ سهم الجميع وتوازي منزلته من قلبك منزلة الخمسة مجتمعين، وبهذا نجد تفسير قول سيدة الطف زينب، وهي تندب أخاها الحسين عليه السلام يوم العاشر من المحرم «اليوم مات جدي رسول الله، اليوم ماتت أمي فاطمة، اليوم قتل أبي علي، اليوم سمّ أخي الحسن» ونجد تفسير ما قاله الإمام الشهيد لجيش يزيد حين صمموا على قتله: «فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم». وإذا أقفل بيت الرسول ﷺ بقتل الحسين عليه السلام كان، والحال هذه، استشهاده استشهاداً لأهل البيت عليهم السلام جميعاً، وإحياء ذكراه إحياء لذكرى الجميع.

٢ ـ إن وقعة الطف كانت وما زالت أبرز وأظهر

مأساة عرفها التاريخ على الإطلاق، فلم تكن حرباً ولا قتالاً بالمعنى المعروف للحرب والقتال، وإنما كانت مجزرة دامية لآل الرسول كباراً وصغاراً، فلقد أحاطت بهم من كل جانب كثرة غاشمة باغية، ومنعت عنهم الطعام والشراب أياماً، وحين أشرف الجميع على الهلاك من الجوع والعطش انهالوا عليهم رمياً بالسهام، ورشقاً بالحجارة، وضرباً بالسيوف، وطعناً بالرماح، ولما سقطوا صرعى قطعوا الرؤوس، ووطأوا الجثث بحوافر الخيل مقبلين ومدبرين، وبقروا بطون الأطفال، وأضرموا النار في الأخبية على النساء؛ فجدير بمن والى نبيه الأكرم وأهل بيته أن يحزن لحزنهم، وأن ينسى كل فجيعة ورزية إلا ما حل بهم من الرزايا والفجائع معدداً مناقبهم، ومساوىء أعدائهم ما دام حيّاً.

إن الحسين عليه السلام عند شيعته والعارفين بأهدافه ومقاصده ليس اسماً لشخص فحسب، وإنما هو رمز عميق الدلالة، رمز للبطولة والإنسانية والأمل، وعنوان للدين والشريعة، والفداء والتضحية في سبيل الحق والعدالة، كما أن يزيد رمز للفساد والاستبداد، والتهتك والرذيلة، فحيثما كان ويكون الفساد والفوضى وانتهاك الحرمات وإراقة الدماء البريئة والخلاعة والفجور وسلب الحقوق والطغيان فثم اسم يزيد وأعمال يزيد، وحيثما

كان ويكون الثبات والإخلاص والبسالة والفضيلة والشرف فثم اسم الحسين عليه السلام ومبادىء الحسين عليه السلام، وهذا ما عناه الشاعر الشيعي من قوله:

كان كل مكان كربلاء لدى
عيني وكل زمان يوم عاشورا

مودة أهل البيت عليهم السلام

مهما اختلفت الأفراد في أوجه الشبه فإنك واجد بين أبناء الأمة الواحدة والدين الواحد جامعاً مشتركاً، وطابعاً يميزها عن غيرها من الأمم والطوائف، وأقرب وسيلة لمعرفة هذا الجامع المشترك هي أقوال الأدباء والشعراء، فإنهم يمثلون تقاليد قومهم، ويعبرون عن عقائد طوائفهم أصدق تعبير.

ولقد تقولت فئة من الناس الأقاويل في عقيدة التشيع، وافتروا عليهم بما يغضب الله والرسول صلى الله عليه وآله، ولكن للشيعة تاريخاً طويلاً، وحافلاً بالحوادث والثورات، والعلوم والآداب، وكلها تنبىء عن حقيقة التشيع، فيستطيع طالب الحق أن يعرفه بنظرة واحدة إلى آثار علمائهم أو أدبائهم يقول شاعرهم:

آل بيت النبي أنتم غياثي
في حياتي وعدتي لمعادي

مــا تــزودت لــلــقــيــامــة إلا

صفو ودّي لكم وحسن اعتقادي[1]

فعقيدة التشيع، إذن ترتكز على أمرين: حسن الاعتقاد، وصفو الود لأهل البيت عليهم السلام. وحسن الاعتقاد هو الإيمان بالله وكتابه، وبالنبي صلى الله عليه وآله وسنته، وقد أوجب القرآن والحديث مودة أهل البيت عليهم السلام، وأن إنكار مودتهم وولائهم إنكار لكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وآله.

ولسائل أن يسأل: هل من دليل يلزم الناس بمودتهم غير شهادة كتاب الله والحديث؟ هل من سبيل يقنع من لا يؤمن بالله ولا بالرسول يقنعه بدليل معقول مقبول أن مودة أهل البيت يفرضها الوجدان ومنطق العدل على كل إنسان مسلماً كان أو غير مسلم؟

أجل، إن من يوالي الحق والعدل يوالي أهل البيت، ومن يعادي الحق يعادي أهل البيت، لأن أهل البيت هم الحق، والحق هو أهل البيت. وقد تقول: هذه دعوى تفتقر إلى إثبات. والجواب أن أي دليل على

---

(١) من قصيدة طويلة للمرحوم الشيخ عبد الحسين الأعسم يرثي بها الحسين عليه السلام، وهو من علماء الإمامية، وشعرائهم، توفي ١٢٤٧هـ.

ذلك أدل من أن يكون الحسين عليه السلام بنفسه صاعقة إلهية تنفجر على الباطل؟! وأي شاهد أصدق من الدماء والأرواح تبذل لنصرة الحق؟! ثم هذا النشيد والهتاف باسم الحسين ألا يدل على أن الحسين عليه السلام هو الحق؟! وإذا لم يكن الحسين عليه السلام هو الحق فلماذا كل هذا العداء والبغض من يزيد الباطل؟

وبقدر ما بلغ الحسين عليه السلام من الحق، إن صح التعبير بلغ يزيد من الباطل، وكما عبر الحسين عليه السلام باستشهاده عن مكانته من الحق فقد عبر يزيد بضراوته عن منزلته من الباطل. لقد بلغ الحنق والغيظ بيزيد أن فعل بالحسين عليه السلام وأهله ما فعل، لا لشيء إلا عداوة للحق، وهذا ما أراد الحسين عليه السلام أن يعلنه للملأ، ويخبر به الأجيال، فسأل يزيد قائلاً: ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟! أو بمال لكم استهلكته؟! أو بقصاص جراحة؟!

أجل، إنهم يطلبونه بأكثر من ذلك، يطلبونه بما طلبه النمرود من إبراهيم الخليل. وبما طلبه فرعون من موسى الكليم، وبما طلبه أبو سفيان من محمد الحبيب، وما طلبه معاوية من علي المرتضى، إنهم يطلبون أن لا يوجد شيء على الكرة يقال له دين وإيمان وعدالة وإنسانية، ويأبى الحسين إلا الدين، لأنه لا شيء أعظم

من الدين عند الحسين عليه السلام، إنه أعظم من الأرواح ومن الأنبياء والأوصياء، فكم من نبي قدم نفسه فداء للدين؟! وكم من إمام استشهد من أجل حمايته وصيانته؟! إن عظمة الدين لا يساويها شيء لأنها من عظمة الله الذي ليس كمثله شيء.

وما أدرك هذه الحقيقة أحد كما أدركها النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته، ومن أجل ذلك بذلوا في سبيله ما لم يبذله إنسان، وعبدوا الله عبادة الخبير بما له من عظمة وسلطان، فلقد أجهد النبي صلى الله عليه وآله نفسه في الصلاة حتى تورمت قدماه، وحتى عاتبه الله بقوله: طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ [طه: ١ـ ٢] وقد كان من عادة الإمام إذا سجد أصابته غشية لا يحس معها بمن حوله، قال أبو الدرداء:

«رأيت علياً، وقد اعتزل في مكان خفي، وسمعته، وهو لا يشعر بمكاني، يناجي ربه، ويقول: إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي فما مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك، ثم ركع ركعات، ولما فرغ اتجه إلى الله بالدعاء والبكاء والبث والشكوى، فكان مما ناجى به: إلهي أفكر في عفوك فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظم

علي بليتي. آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها، وأنت محصيها، فتقول خذوه، فيا له من مأخوذ، لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، ولا يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء! آه من نار تنضج الأكباد والكلى! آه من نار نزاعة للشوى! آه من غمرة من ملهبات لظى! ثم أنعم بالبكاء، ثم سكت لا يسمع له حس ولا حركة.

قال أبو الدرداء: فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته فلم يتحرك، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون مات والله علي بن أبي طالب، فأتيت منزله أنعاه لفاطمة، فقالت فاطمة لأبي الدرداء: ما كان من شأنه؟ فلما أخبرها قالت: هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله».

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام في الصلاة فسقط ولده في البئر فلم ينثن عن صلاته، وحين فرغ منها مد يده، وأخرجه، وقال: كنت بين يدي جبار، لو ملت بوجهي عنه لمال عني بوجهه. وإذا كان أهل البيت عليهم السلام يهتمون بالصلاة هذا الاهتمام حتى في الحرب وساعة العسرة، فكيف يدعي التشيع لهم من يتركها ويتهاون بها في السلم وساعات الفراغ، ويفضل عليها اللهو والمجون.

ومرة ثانية نكرر القول بأن التشيع يرتكز على الاعتقاد بالله والرسول ﷺ واليوم الآخر، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وعلى صفو الود لأهل البيت عليهم السلام الذين قاتلوا وقتلوا من أجل الصلاة وعبادة الواحد الأحد. انتحى الإمام ناحية يصلي لله في صفين، والحرب قائمة على أشدها، وحين افتقده أصحابه اضطربوا، وكسروا جفون أسيافهم، وآلوا أن لا يغمدوها حتى يشاهدوا الإمام، ولما وجده الأشتر قائماً للصلاة انتظره حتى فرغ منها، وقال له: أفي مثل هذه الساعة؟! فأجابه: نقاتل لأجلها ونتركها؟!..

وقام الحسين عليه السلام إلى الصلاة في قلب المعركة، وأصحابه يتساقطون قتلى بين يديه، فصلى بمن بقي منهم، وسعيد بن عبد اللّه الحنفي قائم بين يديه يستهدف النبال والرماح حتى سقط إلى الأرض، وهو يقول اللهم العنهم لعن عاد وثمود، اللهم بلغ نبيك عني السلام، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإني أردت ثوابك في نصرة نبيك، ثم قضى نحبه، فوجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح.

هل أقدم الحسين عليه السلام على التهلكة

قد يتساءل: كيف تحدى إبراهيم الخليل عليه السلام شعور قومه، وأهانهم في آلهتهم وأعظم مقدساتهم، ولم يعبأ بالنمرود صاحب الحول والطول؟! هذا، وهو أعزل من السلاح والمال لا ناصر له، حتى أبويه لم يجرءا على مناصرته والذب عنه.

حطم الخليل عليه السلام آلهة قومه، وداسها بقدميه، وقال للألوف المؤلفة «أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون» ولم يخش سطوتهم ونارهم التي أوقدوها لحرقه حياً.

وموسى الكليم عليه السلام الشريد الطريد الذي أكل بقلة الأرض حتى بانت خضرتها من شفيف بطنه لهزاله، وحتى سأل ربه قطعة خبز، وتضرع إليه بقوله: «رب لما أنزلت إلي من خير فقير» هذا الفقير إلى لقمة الخبز يصرخ في وجه فرعون المتأله، صاحب النيل، والملك

العريض الطويل، ويقول له: أنت الضال المضل!..

ومحمد اليتيمﷺ الذي لا يملك شيئاً من حطام الدنيا[1] كيف سفه أحلام قريش سادة العرب، وسب آلهتهم؟! وبأية قوة هدد كسرى ملك الشرق، وقيصر ملك الغرب، وكتب إلى كل أسلم تسلم؟!

وبكلمة واحدة، ما هي القوة، وما هو الدافع الذي بعث الأنبياء والرسل على تلك المغامرات التي لا يقدم عليها إلا معتوه لا يدري ما يقول، أو رسول لا ينطق بلسانه، بل بلسان قوة خارقة وفوق القوى جميعاً؟!

وليس من شك أن الأنبياء حين يدعون الجبابرة الطغاة، وأهل الجاه والسلطان دعوة الحق إنما يدعونهم مدفوعين بقوة لا تقاوم، ويخاطبونهم باسم الله الذي يؤمنون به أكثر من إيمانهم بأنفسهم، وباسم الوحي الذي يسمعونه بعقولهم وآذانهم.

يقدم الجيش أو يحجم بأمر قائده ورئيسه، ويبرز الفرسان إلى الميدان فيقتلون أو يقتلون، ومن يقتل فهو شهيد تقام له حفلات التكريم والتعظيم، وترفع له في

---

(١) كل ما ورثه النبيﷺ من أبويه أمة، وهي أم أيمن، وخمسة جمال، وقطيعة غنم، وقد أعتق أم أيمن حين تزوج بخديجة.

الساحات العامة النصب والتماثيل، وتوضع على قبره أكاليل الأوراد والزهور. وهكذا الأنبياء يقدمون بدافع من الله وقيادته، ويتحدون أهل القوة والسلطان بأمر الله وإرادته، فينتصرون أو يقتلون، وهم في الحالين عظماء يمتثلون أمر الله، وبه يعملون، فإذا استشهدوا فإنما يستشهدون، وهم يبلغون كلمة الله إلى خلقه، ويمثلون الإنسان في أسمى حالات الإخلاص والتضحية.

هذا هو منطق أهل الدين والعقل، وهذي هي عقيدة أصحاب الإيمان والوجدان، أما الملحدون الذي لا يؤمنون بالله واليوم الآخر من شباب هذا العصر، ومثلهم السذج المغفلون من قبل ومن بعد، أما هؤلاء فيقولون: لقد جازف الحسين عليه السلام بخروجه إلى العراق، لأن أهله أهل الغدر والنفاق، وأصحاب أبيه وأخيه، وإذا خرج، وخدعته كتبهم ورسلهم فكان عليه أن يستسلم، بعد أن رأى ما رأى، من عزمهم وتصميمهم على قتله، وعجزه عن الذب والدفاع عن نفسه وأهله. قالوا هذا، وهم يعتقدون أن الاستشهاد فضيلة ممن استشهد مع قائد يملك العدة والعدد. أما الحسين عليه السلام في نظرهم فقد خاطر وجازف، لأنه استشهد ولا قوة تدعمه وسلطان يناصره.

إن الذين يقولون هذا القول يخطئون الفهم، ولا ينظرون إلى أبعد من أنوفهم، ان الحسين عليه السلام لم ينهض

من تلقاء نفسه، ولم يخرج إلى العراق رغبة في شيء من أشياء هذه الحياة، وإنما خرج بأمر الله، وقاتل بإرادة الله، واستشهد بين يدي الله، فكما أن الجندي لا مناص له من البراز والنزال حين صدرت إليه أوامر رئيسه وقائده، كذلك الحسين عليه السلام لا ندحة له إلى التخلص والفرار بعد أن أمره الله.. مما كان وفعل، ويؤكد هذه الحقيقة قول الحسين عليه السلام لمن نهاه عن الخروج، فلقد أتاه فيمن أتاه جابر بن عبد اللّه الأنصاري، وقال له: أنت ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأحد سبطيه لا أرى إلا أن تصالح كما صالح أخوك، فإنه كان موفقاً رشيداً. فقال له الحسين عليه السلام، يا جابر قد فعل ذلك أخي بأمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا أيضاً أفعل بأمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا الجواب يحدد لنا سلوك الحسين عليه السلام في حياته كلها، ولا يدع قولاً لقائل، وانه يسير بأمر الله، وعلى سنة جده محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلقد أوقع النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلح الحديبية مع مشركي مكة بأمر الله، ومحا كلمة بسم الله الرحمن الرحيم، ومحمد رسول الله من كتاب الصلح بأمر الله[1]، ورضي أبوه بالتحكيم يوم صفين بأمر

---

(١) في سنة خمس للهجرة خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة إلى مكة في ناس من أصحابه يريد العمرة، فمنعه المشركون من دخولها، ثم

الله، وصالح أخوه الحسن عليه السلام معاوية بأمر الله، ونهض هو نهضته المباركة بأمر الله. إن الذين يعترضون على نهضة الحسين لا يفسرون الأشياء تفسيراً واقعياً، ولا تفسيراً دينياً، وإنما يفسرونها تفسيراً ذاتياً وشخصياً محضاً لا يمت إلى العلم والدين بسبب، ولا ينظرون إلى حكمة الله وحجته البالغة التي يهلك بسببها من هلك عن بينة، ويحيا من حيي عن بينة.

لقد بين سيد الشهداء كلمة الله، ودعا إلى الحق، وحذر المخالفين من عاقبة الظلم والطغيان، فمن خطبة له يوم الطف:

فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن، ويحكم أهؤلاء تعضدون، وعنا

وقع الصلح بينه وبينهم على أن يترك العمرة هذه السنة إلى السنة القادمة فيدخل مكة بلا سلاح، وأمر النبي علياً أن يكتب كتاب الصلح، فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فأبى المشركون إلا محو البسملة والشهادة لمحمد بالرسالة، فقال النبي للإمام: أمح. فقال الإمام: إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة، والتفت إلى مندوب المشركين، وقال له: إنه رسول الله رغم أنفك، فتولى النبي صلى الله عليه وآله المحو بنفسه.

تتخاذلون؟! أجل، والله غدر فيكم قديم، وشجت عليه أصولكم، وتأزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمر شجي للناظر وأكلة للغاصب.

ألا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة!.. يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام..

أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى، وتقلق قلق المحور، عهد عهده إلى أبي عن جدي رسول الله ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ [يونس: ٧١].

وقال الحسين عليه السلام، حين بلغه مقتل ابن عمه مسلم: «وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسنهم الله ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً».

ليس هذا القول تنبأ بالصدفة، وأخذاً من مجرى الحوادث. كلا، وإنما هو كما قال الإمام عهد من الله سبحانه إلى نبيه محمد، ومنه إلى أمير المؤمنين، ومنه

إلى الإمام الشهيد، وقد صدق التاريخ ذلك، وما نقص منه شيء، فلم يلبث قاتلو الحسين عليه السلام حتى دار الزمن بهم دوراته، وضربهم بضرباته.

لقد دعا نبي الله إلى الواحد الأحد، فقتله جبار أثيم، وأهدى رأسه بطست إلى بغي، ودعا الحسين عليه السلام إلى الحق والعدل، فقتله الطغاة، وأهدوا رأسه إلى يزيد اللعين، وقتل زكريا وغيره من الأنبياء، وهم يبشرون وينذرون، فإذا كان الحسين عليه السلام قد أخطأ في استشهاده من أجل الحق والعدل فقد أخطأ إذن الأنبياء والأولياء والمصلحون الذين قتلوا وشردوا في سبيل الله وإعلاء كلمة الحق، وإلقاء الحجة على المبطلين.

قال علي بن الحسين عليه السلام: ما نزل أبي منزلاً، أو ارتحل عنه في مسيره إلى العراق إلا وذكر يحيى بن زكريا، وقال يوماً: من هوان الدنيا على الله تعالى أن رأس يحيى أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.

ذكر الحسين يحيى للشبه بين الاثنين، فلقد أهدي رأس الحسين عليه السلام إلى بغي من بغايا الأمويين الذين كانوا أشر، وأضر على العرب والمسلمين من صهاينة هذا العصر. نكث يزيد رأس الحسين عليه السلام بالخيزران عناداً لله ورسوله، ولأن في هذا الرأس الشريف علوم القرآن

الكريم والرسول العظيم.

أيهدى إلى الشامات رأس ابن فاطم
ويقرعه بالخيزرانة كاشحه
وتسبى كريمات النبي حواسراً
تفادي الجوا من ثكلها وتراوحه
يلوح لها رأس الحسين على القنا
فتبكي وينهاها عن الصبر لائحه

رضا الله رضانا أهل البيت

من كلام سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام:

اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك.. واجمعني عليك بخدمة توصلني إليك، وكيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟! أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون المظهر لك؟! متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟! عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيباً[1].

هكذا عرف الله سبحانه أئمة أهل البيت عليهم السلام. عرفوه حتى كأنهم يرونه وجهاً لوجه، وحتى كأنهم يسمعون أوامره ونواهيه رأساً وبلا واسطة، لقد فتح الله لهم أبواب العلوم بربوبيته وعظمته، وأضاء لهم طرق الإخلاص له في توحيده وطاعته، وشرفهم بالفضائل على جميع خلقه، فما نطقوا إلا بكلمة الله، وما عملوا

(١) كتاب الإقبال لابن طاوس، من دعاء الحسين يوم عرفة.

إلا بما يرضي الله وما قطعوا أمراً إلا بأمر من الله. لما عزم الحسين عليه السلام على الخروج إلى العراق قام خطيباً، وقال:

الحمد لله ما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، وصلَّى الله على رسوله؛ خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملآن مني أكراشاً جوفاً، واجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمتنا، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز بهم وعده، ألا من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإنني راحل مصبحاً، إن شاء الله.

قيل للإمام الصادق عليه السلام: بأي شيء يعلم المؤمن أنه مؤمن؟ قال بالتسليم والرضا فيما ورد عليه من السرور أو السخط.

إذن لا يقاس المؤمن المخلص بالاعتقادات والعبادات، وإنما يقاس إيمانه وإخلاصه بالتسليم لأمر

الله، وطيب نفسه بما يرضي الله ولو كان قرضاً بالمقاريض، ونشراً بالمناشير.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أوحى الله إلى داود: تريد، وأريد، ولا يكون إلا ما أريد، فإن سلمت لما أريد أعطيت ما تريد، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد. وقال: لا تسخط الله برضا أحد من خلقه، فإن في الله خلفاً من غيره، وليس من الله خلف في غيره. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من طلب رضا مخلوق بسخط الخالق سلط الله عليه ذلك المخلوق.

وأوضح مثال على هذه الحقيقة جزاء ابن زياد لابن سعد. قاتل هذا الحسين عليه السلام طمعاً في ملك الري، فحرمه من الملك، ثم سلط الله عليه المختار فذبحه على فراشه، وحرمه الحياة. ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ولبى أصحاب الحسين نداءه، ورحلوا معه، وبذلوا مهجهم دونه طلباً لمرضاة الله، ورغبة بلقائه وثوابه، فلقد كان حنظلة بن أسعد الشبامي يوم الطف يقف بين يدي الحسين يقيه السهام والرماح والسيوف بوجهه ونحره، وينادي ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ * مِثْلَ

دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ * وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٠ ـ ٣٣]، ﴿يا قوم لا تقتلوا حسيناً، ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه: ٦١].

ثم قال حنظلة: السلام عليك يا أبا عبد اللّه، صلى الله عليك وعلى أهل بيتك، وعرف بيننا وبينك في جنته، وقالت حتى قتل رضوان الله عليه، وكان من الذين عناهم الله بقوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ.

روح النبي والوصي

قال عبد اللّه بن عمار، وقد شهد معركة الطف: ما رأيت مكثوراً قط، قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً من الحسين عليه السلام، وإن كانت الرجال لتشد عليه، فيشد عليها بسيفه، فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب، وكان يحمل فيهم، وقد تكاملوا ثلاثين ألفاً، فينهزمون بين يديه، كأنهم الجراد المنتشر ثم يرجع إلى مركزه، وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لقد دهش هذا الراوي من شجاعة الحسين عليه السلام، ومضي عزمه، وذهل، وهو ينظر إليه، وقد شد على ثلاثين ألفاً فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شد عليها الليث، لقد دهش وذهل، وما درى أنه ابن علي القائل: والله لو اجتمع على أهل الأرض لما وليت مدبراً، وتعجب الراوي من صبر الحسين عليه السلام وإيمانه، ونسي أنه ابن من خاطب الله بقوله: اللهم إنك تعلم لو أني أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سيفي في بطني، ثم أنحني

عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت.

إن أهل البيت عليهم السلام لا يقيمون وزناً لشيء في هذه الحياة، ولا يكترثون، ولو ملئت الأرض عليهم خيلاً ورجالاً ويصبرون على التضحية بالنفس والنساء والأطفال ويطيقون كل حمل إلا سخط الله وغضبه، فإنهم يفرون منه، ويعجزون عنه، ولا يستطيعون الصبر على اليسير منه، مهما تكن الظروف.

وهنا تبرز خصائص الإمامة والعصمة[1] ونجد السر الذي يميز أهل البيت عن غيرهم من الناس الذين يصعب عليهم كل شيء إلا معصية الله، فإنها أهون عندهم من التنفس وشرب الماء، ان الحسين بشر يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، ولكنه يحمل صفة تجعله فوق الناس أجمعين، وقد أشار النبي صلى الله عليه وآله إلى هذه الصفة بقوله: «حسين مني، وأنا من حسين» ومحمد من نور

---

(١) استدل علماء الشيعة على عصمة الإمام بأن الغاية من وجوده إرشاد الناس إلى الحق، وردعهم عن الباطل، فلو أخطأ أو عصى لكان كمن يزيل القذارة بمثلها، ولافتقر الإمام إلى آخر، ويتسلسل، وهذا دليل نظري، أما الدليل العملي الملموس على عصمة علي وأولاده الأئمة فسيرتهم وتضحياتهم في سبيل الحق والعدالة، وكفى بموقف الحسين دليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً على عصمته.

الله، فالحسين، إذن من نور الله، وقد علق الأستاذ العلايلي على هذا الحديث بأنه يفيد الامتزاج والاتحاد(١).

قال الأستاذ العقاد في كتاب «أبو الشهداء»:

«ظل الحسين على حضور ذهنه، وثبات جأشه في تلك المحنة المتراكمة التي تعصف بالصبر، وتطيش بالألباب.. وهو جهد عظيم لا تحتويه طاقة اللحم والدم. فإنه رضي الله عنه كان يقاسي جهد العطش والجوع والسهر، ونزف الجراح ومتابعة القتال، ويلقي باله إلى حركات القوم ومكائدهم، ويدبر لرهطه ما يحبطون به تلك الحركات، ويتقون به تلك المكائد، ثم يحمل بلاءه وبلاءهم. ويتكاثر عليه وقر الأسى لحظة بعد لحظة، كلما فجع بشهيد من شهدائهم. ولا يزال كلما أصيب عزيز حمله إلى جانب إخوانه، وفيهم رمق ينازعهم وينازعونه، وينسون في حشرجة الصدور ما فيهم.. فيطلبون الماء، ويحز طلبهم في قلبه كلما أعياه الجواب، ويرجع إلى ذخيرة بأسه، فيستمد من هذه الآلام الكاوية عزماً يناهض به الموت، ويعرض به عن الحياة.. ويقول في أثر كل صريع: «لا خير في العيش بعدك».

---

(١) سمو المعنى في سمو الذات ص٧٨ طبعة ١٩٣٩.

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يمس أحدنا الخطب مسّاً خفيفاً فيملأ الدنيا صراخاً وعويلاً ويمتحنه الله بنقص من المال أو الأهل، فيخرج من عقله ودينه، ويجرأ على خالقه بألفاظ تصم منها المسامع، وتخرس لها الألسن. وتنهال السهام والسيوف، والرماح على الحسين عليه السلام، ويتفجر جسده الشريف بالدماء، ويتساقط القتلى من أولاده وأصحابه بالعشرات، وهو ينظر إليهم، ثم لا يزيد على قول لا حول وإلا قوة إلا بالله! أجل، لقد قال حين سقط على الأرض مخاطباً ربه، وهو يسلمه النفس الأخير:

«اللهم إنك قريب إذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت.. أدعوك محتاجاً، وأرغب إليك فقيراً، وأفزع إليك خائفاً».

أنت خائف من ربك يا أبا عبد اللّه، وغيرك في أمان من عقابه! ومن أي شيء تخاف! من ظلمك وطغيانك.. وما ظلم أحد في الكون كما ظلمت.. أو من تهاونك بأمر الله، وكنت تصلي له في اليوم والليلة ألف ركعة! أو من سكوتك عن حكام الجور، وترك الأمر بالمعروف. وما ضحى أحد في هذه السبيل كما

ضحيت!.. أو تخشى جبنك وخورك، وقد لاقيت ثلاثين ألفاً بصدرك وقلبك، وكنت عنواناً لصبر الأنبياء، ومثال الشجاعة والإباء لكل جيل كان ويكون!..

إذاً ماذا أراد الحسين عليه السلام بقوله: «وافزع إليك خائفاً». إنه أراد أن يقول لله سبحانه: على الرغم من كل ما حل بي يا إلهي فأنا طيب النفس، صابر على امتحانك وبلائك، راض بحكمك وقضائك، وما أنا بمتألم ولا متبرم، لأنه لا مطمح لي إلا رضاك، فإن تألمت وخفت من شيء فإنما أخاف أن تمنعني حبك وقربك.

وهنا يقف العقل حائراً ومتسائلاً: هل في الكون أعظم وأكبر منزلة عند الله من الحسين عليه السلام؟؟ هل ضحى أحد في سبيل الله والحق كما ضحى الحسين عليه السلام وهل وجد من هو في عمقه ورحابته؟! ولو ابتلى أحد بما ابتلي به الحسين لوجدنا وجهاً للموازنة والمقارنة. لقد سمعنا بمن ضحى بنفسه، أو بماله، أو بأولاده، أما من ضحى بكل هذه مجتمعة، أما من ذبح أطفاله الصغار والكبار، وقتل جميع أهل بيته وأصحابه، وسبيت نساؤه، وأحرقت دياره، ونهبت أمواله، ورفع رأسه على الرمح، ووطأت الخيل صدره وظهره، أما كل هذه

مجتمعة فلم تكن لأحد غير الحسين، ولن تكون أبداً!
وبالتالي، فإننا نتساءل: هل في الكون أعظم من الحسين عليه السلام؟ ونحن نؤمن بأنه الصورة الكاملة لعظمة جده محمد صلى الله عليه وآله، وأبيه علي عليه السلام.

خروج الإمام بأهله

قامت المرأة بدور هام في وقعة الطف، وكان لها أبعد الأثر في الكشف عن مخازي الأمويين، وانهيار حكمهم، وتألب الناس عليهم، فمن النساء من دفعت بابنها أو زوجها إلى القتل بين يديّ الحسين عليه السلام تقرباً إلى الله والرسول، كما فعلت أم وهب وزوجته، ومنهن من حملن السلاح للدفاع عن نساء النبي وأطفاله، ومنهن من تظاهرن ضد حكام الجور الذين قتلوا ابن بنت الرسول صلى الله عليه وآله، ورشقن جيش الطغاة بالحجارة هاتفات بسبب يزيد وابن زياد.

أرسل الحسين عليه السلام رسولاً إلى زهير بن القين ليأتيه، ولما دخل عليه الرسول وجده مع قومه يتغدون، وحين أبلغه رسالة الحسين عليه السلام طرح على كل إنسان ما في يده، وجمد حتى كأن على رأسه الطير، فالتفتت امرأة زهير، وقالت: يا سبحان الله! أيبعث إليك ابن رسول الله، ثم لا تأتيه؟! فذهب زهير إلى الحسين عليه السلام، وما لبث أن جاء مستبشراً مشرق الوجه، وقال: قد عزمت

على صحبة الحسين لأفديه بنفسي، وأقيه بروحي، ثم التفت إلى زوجته، وقال لها: أنت طالق، الحقي بأهلك، فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلاّ خير، وأعطاها ما لها، وسلمها إلى بعض أهلها. فقامت إليه، وبكت وودعته قائلة: كان الله عوناً ومعيناً لك، خار الله لك، أسألك أن تذكرني يوم القيامة عند جد الحسين.

لقد دفعت هذه الحرة المصونة المؤمنة بزوجها إلى سعادة الدارين ونالت الدرجات العلى عند الله والناس، فما زال اسمها يعلن على المنابر ويدون في الكتب مقروناً بالحمد والثناء إلى يوم يبعثون، وهي في الآخرة مع جد الحسين وأبيه وأمه، وحسن أولئك رفيقاً، وهكذا المرأة العاقلة المؤمنة تدفع بزوجها إلى الخير، وتردعه عن الشر ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

وكانت امرأة من بني بكر بن وائل مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلما رأت القوم قد اقتحموا على أطفال الحسين عليه السلام، ونساؤه هاربات حاسرات، يستغثن ويندبن، ولا مغيث، اسود الكون في وجهها، وفار الدم في قلبها وعروقها، وأخذت سيفاً، وأقبلت نحو الفسطاط منادية يا آل بكر أتسلب بنات رسول الله؟! لا حكم إلا الله! يا لثارات رسول الله! فأخذها زوجها،

وردها إلى رحله.

وليس من شك أن ثورة هذه السيدة النبيلة قد بعثت الاستياء والنقمة على الأمويين، وملأت النفوس عليهم وعلى سلطانهم حقداً وغيظاً، وكل ما حدث في كربلاء وفي الكوفة وفي مسير السبايا إلى الشام كان من أجدى الدعايات وأنفعها ضد الأمويين.

أمر ابن زياد أن يطاف بالرأس الشريف في أزقة الكوفة يهدد به كل من تحدثه نفسه بالخروج عن طاعته وطاعة أسياده، فكان هذا التطواف خير وسيلة لنشر الدعوة العلوية، ومبدأ التشيع لأهل البيت عليهم السلام، ولعن من شايع وبايع وتابع على قتل الحسين عليه السلام، وسلام الله على السيدة الحوراء حيث قالت ليزيد: «فوالله ما فريت إلا جلدك، وما حززت إلا لحمك».

وبعد الطواف بالرأس أرسله ابن زياد وسائر الرؤوس إلى يزيد مع أبي بردة وطارق بن ضبان في جماعة من أهل الكوفة، ثم أمر بنساء الحسين عليه السلام وصبيانه فشدوا بالحبال على أقتاب الجمال مكشوفات الوجوه، ومعهم الإمام زين العابدين عليه السلام قد وضعت الأغلال في عنقه، وسرح بهم ابن زياد مع مخفر بن ثعلبة وشمر بن ذي الجوشن، فأسرعا حتى لحقا بالقوم

الذين معهم الرؤوس، وكانوا إذا مروا ببلد استقبلهم أهله بالمظاهرات والهتافات المعادية، ورشقتهم النساء والأطفال بالحجارة يصرخون بهم: يا فجرة، يا قتلة أولاد الأنبياء.

سبوا الأطفال والنساء، وطافوا بهن وبالرؤوس ليقضوا على مبدأ علي وأبناء علي عليهم السلام، فكان السبي والتطواف ضربة مميتة لهم ولسلطانهم، ووسيلة حققت الغاية التي أرادها الحسين عليه السلام من نهضته، فلقد أثار السبي الأحزان والأشجان في كل نفس، وزاد من فجائع الواقعة المؤلمة، وكشف أسرار الأموين للقاضي والداني، وظهرت قبائحهم ومخازيهم للعالم والجاهل، واستبان للمسلمين في كل مكان وزمان أن الأموين أعدى أعداء الإسلام يبطنون الكفر، ويظهرون الإيمان رياء ونفاقاً.

وبذلك نجد الجواب عن هذا السؤال: لماذا صحب الحسين عليه السلام معه النساء والأطفال إلى كربلاء؟! وما كان أغناه عن تعرضهم للسبي والتنكيل؟!

لقد صحبهم معه الحسين ليطوفوا بهم في البلدان، ويراهم كل إنسان مكشفات الوجوه، يقولون للناس ـ وفي أيديهم الأغلال والسلاسل ـ: أيها الناس انظروا ما

فعلت أمية التي تدعي الإسلام بآل نبيكم.

نقل عن السبط ابن الجوزي عن جده أنه قال: «ليس العجب أن يقتل ابن زياد حسيناً، وإنما العجب كل العجب أن يضرب يزيد ثناياه بالقضيب، ويحمل نساءه سبايا على أقتاب الجمال!..» لقد رأى الناس في السبايا من الفجيعة أكثر مما رأوا في قتل الحسين عليه السلام، وهذا بعينه ما أراده الحسين عليه السلام من الخروج بالنساء والصبيان، ولو لم يخرج بهن لما حصل السبي والتنكيل، وبالتالي لم يتحقق الهدف الذي أراده الحسين عليه السلام من نهضته، وهو انهيار دولة الظلم والطغيان. ولو افترض أن السيدة زينب عليها السلام بقيت في المدينة، وقتل أخوها في كربلاء فماذا تصنع؟! وأي عمل تستطيع القيام به غير البكاء وإقامة العزاء؟!.

وهل ترضى لنفسها، أو يرضى لها مسلم أن تركب جملاً مكشوفة الوجه تنتقل من بلد إلى بلد تؤلب الناس على يزيد وابن زياد؟! وهل كان يتسنى لها الدخول على ابن زياد في قصر الإمارة وتقول له في حشد من الناس: «الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد، وطهرنا من الرجس تطهيراً، إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا»؟! وهل كان بإمكانها أن تدخل على يزيد في

مجلسه وسلطانه، وتلقي تلك الخطب التي أعلنت بها فسقه وفجوره، ولعن آبائه وأجداده على رؤوس الأشهاد؟!

إن السيدة زينب عليها السلام لا تخرج من بيتها مختارة، ولا يرضى المسلمون لها بالخروج مهما كان السبب، حتى ولو قطع الناس يزيد بأسنانهم، ولكن الأمويين هم الذين أخرجوها، وهم الذين ساروا بها، وهم الذين أدخلوها في مجالسهم، ومهدوا لها طريق سبهم ولعنهم، والدعاية ضدهم وضد سلطانهم.

ومرة ثانية نقول: هذه هي المصلحة في خروج الحسين عليه السلام بنسائه وأطفاله إلى كربلاء، وما كان لأحد أن يدركها في بدء الأمر إلا الحسين وأخته زينب عليهما السلام، عهد إلى الحسين عليه السلام من أبيه علي عليه السلام عن جده محمد صلى الله عليه وآله عن جبريل عن رب العالمين. سر لا يعلمه إلا الله ومن ارتضاه لعلمه ورسالته.

ما ذنب أهل البيت عليهم السلام

سؤال رددته الأجيال منذ القديم، ويردده الآن كل إنسان، وسيبقى خالداً إلى آخر يوم لا يقطعه مرور الزمن، ولا تحول دونه الحوادث وإن عظمت.

سؤال نظمه الشعراء في آلاف القصائد، ودونه الكتّاب في مئات الكتب، وأعلنه الخطباء على المنابر في كل جزء من أجزاء المعمورة.

سؤال ردده المؤمن والجاحد، والكبير والصغير حتى الأطفال.

سؤال كبير في معناه، صغير في مبناه يُعبر عنه بكلمتين فقط، وهذا هو:

ما ذنب أهل البيت
حتى منهم أخلوا ربوعه
تركوهم شتى مصا
ئبهم وأجمعها فظيعه

فـمـغـيـب كـالـبـدر تـر
تـقـب الـورى شـوقـاً طـلـوعـه
ومـكـابـد لـلـسـم قـد
سـقـيـت حـشـاشـتـه نـقـيـعـه
ومـضـرج بـالـسـيـف آ
ثـر عـزه وأبـى خـضـوعـه
فـقـضـى كـمـا اشـتـهـت الـحـمـيـة
تـشـكـر الـهـيـجـا صـنـيـعـه
ومـصـفـد لله سـلـم
أمـر مـا قـاسـى جـمـيـعـه
وسـلـيـبـة بـاتـت بـأفـعـى
الـهـم مـهـجـتـهـا لـسـيـعـه

ومرة ثانية

ما ذنب أهل البيت عليهم السلام حتى منهم أخلوا ربوعه؟!

وأي ذنب أعظم من ذنب الحرة الطاهرة عند الفاجرات العاهرات؟! وأي جرم أكبر من جرم الأمين المجاهد في سبيل الله عند الخونة الذين باعوا دينهم وضمائرهم للشيطان؟! وأي إساءة تعادل إساءة المحق عند المبطلين؟! وأي عداء أقوى من عداء الجهلة السفهاء للعالم الشريف؟!

ألا يكفي أهل البيت عليهم السلام من الذنوب أن يشهد القرآن بقداستهم وتطهيرهم، وأن تعلن الإذاعات في شرق الأرض وغربها في كل يوم، وفي كل صباح ومساء ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؟! [الأحزاب: ٣٣] ألا يكفي أهل البيت عليهم السلام جرماً أن يقول عنهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»؟! وماذا أبقى إذن إلى غيرهم؟ ألا يكفي علي عليه السلام من الذنوب والعيوب أن يقول النبي صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم، وعلي بابها. وأن يقول له: أنت أخي في الدنيا والآخرة.. من كنت مولاه فعلي مولاه. ولم يقل هذا في حق أحد سوى علي عليه السلام. ألا يكفي علي عليه السلام عيباً أن يقول عنه سيد الرسل حين برز ود: نزل الإيمان كله إلى الشرك كله؟! أما ذنب علي عليه السلام الذي لا كفارة له أبداً فهو أن يسأل الله الناس غداً عن ولايته ومتابعته، كما يسألون عن الإيمان بالله والرسول واليوم الآخر، قال ابن حجر، وهو من علماء السنة في كتابه الصواعق المحرقة: إن قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات: ٢٤] نزلت في علي عليه السلام، وأن الناس مسؤولون عن ولايته، هذي هي عيوب الإمام، وهذي هي ذنوب أبنائه عليهم السلام!..

قال الإمام أحمد بن حنبل لما سئل عن معاوية: إن قوماً أبغضوا عليّاً، فتطلبوا له عيباً فلم يجدوه، فعمدوا إلى رجل قد ناصبه العداء، فأطروه كيداً لعلي..

أجل، إنهم لم يجدوا. ولن يجدوا عيباً واحداً للإمام، ولو حرصوا كل الحرص، ولكن هذا لا يمنعهم من الافتراءات والأكاذيب، كما لم يمنعهم مقام الرسالة عما نسبوه إلى النبي ﷺ من أنه هوى امرأة زيد بن حارثة، وأنه لم يزل بها حتى استخلصها لنفسه. واقرأ معي هذه الفرية لتعرف جرأتهم على الله والرسول ﷺ:

كان هاشم المرقال[1] بطلاً شجاعاً، ومؤمناً صادقاً، وكان من أفاضل أصحاب النبي ﷺ، وصاحب لواء الإمام يوم صفين قاتل قتالاً شديداً حتى قتل في نصرة الإمام في اليوم الذي استشهد فيه عمار بن ياسر، وفي ذات يوم رأى شاباً يخرج من عسكر الشام يضرب عسكر الإمام بسيفه ضرب المستميت، ومن غير وعي، فأتاه وكلمه بهدوء، وقال له: يا هذا إنك تقف موقفاً غريباً،

---

(١) طعنه الحرث بن المنذر في بطنه فسقط على الأرض، وقد رأى عبيد الله بن عمر صريعاً إلى جانبه، فجثى حتى دنا منه وعض على ثدييه حتى تبينت فيه أنيابه، ثم مات هاشم، وهو على صدر عبيد الله.

أنت مسؤول عنه غداً. فقال له الشاب: لقد قيل لي: إن صاحبكم لا يصلي!.. فقال له هاشم: إنهم خدعوك فعلي عليه السلام ولد في الكعبة، وأول من صلى مع الرسول صلى الله عليه وآله إلى القبلة، وقاتل معاوية وأباه من أجل الصلاة، ولو رأيت عسكر علي عليه السلام في ظلام الليل لرأيت التهجد والتضرع، والصلوات وتلاوة القرآن، فاقتنع الشاب وترك القتال.

وقال الشمر أو من هو على شاكلته، قال للحسين عليه السلام، وهو يصلي في قلب المعركة قبل مصرعه: صلّ يا حسين، إنّ صلاتك لا تقبل. الله أكبر!.. لا يقبل الله صلاة الحسين عليه السلام، ويقبل من الشمر قتل الحسين عليه السلام!.. وقال ابن زياد حين بلغه قتل الحسين عليه السلام: الحمد لله الذي قتل حسيناً، ونصر أمير المؤمنين يزيد!.. وعندما أوتي بمسلم بن عقيل لابن زياد، وكان قد آلمه العطش من أثر القتال، فرأى قلة ماء فطلب أن يسقوه منها، فقال له بأهلي: لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم، وكان يزيد ينكت ثنايا الحسين عليه السلام بقضيب مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله، وسجد معاوية شكراً لله بعد أن قتل الحسن عليه السلام بالسم، وهكذا يدلسون ويموهون، ليثق بهم السذج البسطاء، ويثنوا المخلصين عن طريق الحق

والجهاد في سبيله؛ ولكن الله، وهو أحكم الحاكمين، قد فضحهم إلى يوم يبعثون، وعاملهم بخلاف قصدهم، أما المخلصون فلم يكترثوا.

يـزري الـجـبـان بـسـيـف عـنـ
ـتـر والـبـخـيـل بـجـود حـاتـم

ومهما تكن الدعايات والافتراءات فلا تستطيع الصمود أمام الحقيقة، أمام عظمة الإمام وأبناء الإمام. فهذه المحافل في كل مكان، وهذه الدموع الجارية أنهراً على الحسين عليه السلام، وهذه الأصوات المدوية بالصلاة عليهم، واللعنة على أعدائهم وقاتليهم، وهذه القباب الذهبية التي تناضح السحاب، وهذه الوفود التي تؤمها من كل حدب وصوب، كل هذه وما إليها إن هي إلا صواعق وقنابل تنهال على أعداء أهل البيت عليهم السلام، وإلا نشيد الخلود يردده الدهر إلى يوم يبعثون.

أجل، لقد قتل الحسين عليه السلام، وغرق جسمه الشريف في بحر من دمائه، أما روحه وذكراه، أما مبدأه وعمله ففي بحر من عطر ونور.

إن يـبـق مـلـقـى بـلا دفـن فـإنّ لـه
قـبـراً بـأحـشـاء مـن ولاه مـحـفـورا

ما هذا البُكاء

لك عندي ما عشت يابن رسول
الله حزن يفي بحق ودادي
ناظر بالدموع غير بخيل
وحشى بالتسلو غير جواد

هذا هو شعار الشيعة: قلب حزين، وطرف دامع على مصاب أهل البيت عليهم السلام.

وقال قائل: ألا يجد الشيعة سبيلاً يعبرون به عن ولائهم لأهل البيت عليهم السلام غير البكاء والدموع؟!

قلت: أجل: نعبر أيضاً عن ولائنا لهم بالصلوات إلى مقاماتهم المقدسة، والتبرك بأضرحتهم، وبشد الرحال إلى مقاماتهم المقدسة، والتبرك بأضرحتهم الشريفة.

قال: تعيشون في عصر الذرة والكواكب، ثم تبكون على من مات من مئات السنين، وتشدون الرحال إلى الأحجار والصخور؟!

قلت: أما البكاء على الحسين عليه السلام فليس بكاء على من فات، كما يفهمه الجاهلون، ولا هو بكاء الذل والانكسار، وإنما هو احتجاج صارخ على الباطل وأهله، إنه صواعق تنهال على رؤوس الطغاة الظالمين في كل زمان ومكان، إنه تعبير صادق عن الإخلاص للحق، والنقمة على الجور، إنه تعظيم للتضحية والفداء، والحق والواجب، والشجاعة على الموت، وإكبار للإنفة من الضيم، والصبر في المحنة والشدائد. إن الذين ينشدون في محافل التعزية:

لا تطهر الأرض من رجس العدى أبداً

ما لم يسل فوقها سيل الدم العرم

لا يبكون بكاء الذل والضعف، بل ينظمون نشيد الحماسة من دموعهم. ويرددون هتاف الحق والعدل من الحسرات والزفرات.

أما زيارات الأماكن المقدسة، أما الصخور والأحجار فليست الهدف والغاية، ولو كانت هي القصد لكان في هذه الجبال الشامخات غنى عن مشقة السفر والترحال، إن المقصود بالذات هو صاحب المقام، أما الأحجار فلها شرف الانتساب، تماماً كالأحجار التي بني منها البيت الحرام، ومسجد الرسول عليه السلام وسائر

المعابد، وكجلد القرآن الكريم[١] وقد رأينا. كيف تحتفظ الشعوب والدول ببيوت الأدباء الكبار، كشكسبير، ولامرتين، وهوغو وغيرهم، وتحيطها بهالة من التقديس والتعظيم. ولو عرض للبيع ساعة أو حذاء أو أي شيء ينسب لعظيم قديم لبذل في سبيله أغلى الأثمان، وما ذاك إلا لشرف الانتساب.

جاء في التاريخ أنه حين أتي برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد كان يتخذ مجالس الشرب، والرأس الشريف بين يديه، فصادف أن دخل عليه رسول ملك الروم، وهو على هذه الحال، فأنكر عليه أشد الإنكار بعد أن علم أن الرأس هو رأس الحسين عليه السلام، وقال له فيما قال: هل سمعت يا يزيد حديث كنيسة الحافر؟ قال: وما هي؟ قال الرومي: عندنا مكان يقال بأن حمار عيسى عليه السلام مر به، فبنينا فيه كنيسة الحافر نسبة إلى حافر حمار عيسى، ونحن نحج إلى المكان في كل عام، ومن كل قطر،

---

(١) حكم الفقهاء بتحريم تنجيس المساجد أرضها وحيطانها وحصيرها وفرشها، وأوجبوا إزالة النجاسة، وقالوا بتحريم مس كتابة القرآن الكريم إلا مع الوضوء، وقال الشافعية: لا يجوز مس جلده أيضاً، حتى ولو انفصل عنه، ولا مسَّ علاقته ما دام القرآن معلقاً بها.

ونهدي إليه النذور، ونعظمه كما تعظمون كتبكم، فاشهد أنك على باطل، فأمر يزيد بقتل الرسول، فقام الرومي إلى الرأس فقبله وتشهد الشهادتين، ثم أخذ، وصلب على باب القصر!..

وقال الأستاذ العقاد في كتاب «أبو الشهداء» تحت عنوان الحرم المقدس: «عرفت قديماً باسم كور بابل ثم صحفت إلى كربلاء، فجعلها التصحيف عرضة لتصحيف آخر يجمع بين الكرب والبلاء، كما وسمها بعض الشعراء.

ولم يكن لها ما تذكر به في أقرب جيرة لها فضلاً عن أرجاء الدنيا البعيدة منها.. فليس لها من موقعها، ولا من تربتها، ولا من حوادثها ما يغري أحداً برؤيتها، ثم يثبت في ذاكرة من يراها ساعة يرحل عنها.

فلعل الزمن كان خليقاً أن يعبر بها سنة بعد سنة، وعصراً بعد عصر دون أن يسمع لها اسم، أو يحس لها بوجود.. وشاءت مصادفة من المصادفات أن يساق إليها ركب الحسين عليه السلام بعد أن حيل بينه وبين كل وجهة أخرى، فاقترن تاريخها منذ ذلك اليوم بتاريخ الإسلام كله. ومن حقه أن يقترن بتاريخ بني الإنسان حيثما عرفت لهذا الإنسان فضيلة تستحق بها التنويه والتخليد.

فهي اليوم حرم يزوره المسلمون للعبرة والذكرى، ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة، ولكنها لو أعطيت حقها من التنويه والتخليد، لحق لها أن تصبح مزاراً لكل آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة، وحظاً من الفضيلة، لأننا لا نذكر بقعة من بقاع هذه الأرض يقترن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى وألزم لنوع الإنسان من تلك التي اقترنت باسم كربلاء بعد مصرع الحسين عليه السلام فيها».

هذه شهادة حق من خبير منصف، لقد اقترن تاريخ كربلاء بتاريخ الإسلام كله، فما من كتاب في تاريخ العرب والمسلمين إلا ولكربلاء منه الحظ الأوفر، كما ظهر أثرها في كتب الغرب، ودواوين الشعراء، وما ذكرت على لسان، أو في كتاب إلا بالإكبار والتعظيم، ولولا الحسين عليه السلام لم تكن شيئاً مذكوراً:

مـــا روضـــة إلا تـــمـــنـــت أنـــهـــا
لـك مـضـجـع ولـخـط قـبـرك مـوضـع



من أخلاق الإمام زين العابدين عليه السلام

كان من أخلاق زين العابدين، وما أخلاقه إلا أخلاق أبيه الحسين، وما أخلاق الحسين عليه السلام إلا أخلاق أبيه علي عليه السلام، وما أخلاق علي إلا أخلاق ابن عمه محمد صلى الله عليه وآله، وما أخلاق محمد صلى الله عليه وآله إلا أخلاق القرآن التي عبر عنها الرسول صلى الله عليه وآله بقوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، والتي شهد الله بها لرسوله في محكم كتابه العزيز ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾، وكل واحد من أئمة أهل البيت عليهم السلام على خلق جده النبي المختار صلى الله عليه وآله.

كان من أخلاق الإمام زين العابدين عليه السلام الإحسان لمن أساء إليه؛ فقد روي أنه كان له ابن عم يؤذيه، فكان يأتيه الإمام ليلاً، ويعطيه الدنانير، وهو متستر، فيقول له: لكن علي بن الحسين عليه السلام لا يصلني، لا جزاه الله خيراً، فيسمع الإمام ذلك ويصبر، فلما مات انقطعت عنه الدنانير، فعلم أن الذي كا يعطيه ويصله هو الإمام زين العابدين عليه السلام.

وكان هشام بن إسماعيل والياً على المدينة من قبل عبد الملك بن مروان، وكان أيام ولايته يتعمد الإساءة إلى الإمام زين العابدين عليه السلام، ولما حكم الوليد بعد والده عبد الملك عزل هشاماً، وأمر أن يوقف في طريق عام، ويعرض للناس، كي يقتص منه كل من أساء إليه أيام ولايته، فكان الذين يمرون به من الذين ظلمهم وأساء إليهم يشتمونه، ويضربونه، ويطالبونه برد ظلامتهم، وكان أخوف ما يخاف من الإمام زين العابدين عليه السلام لكثرة ما أساء إليه.

ولكن الإمام عليه السلام جمع أهله وخاصته، وأوصاهم أن لا يتعرض له أحد منهم بما يكره، وكان يمر به فيسلم عليه، ويلطف به، ويقول له: انظر إلى ما أعجزك من مال تطالب به، فعندنا ما يسعدك فطب نفساً منا ومن كل من يطيعنا. فقال هشام: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وبعد مذبحة كربلاء ثار أهل المدينة على الأمويين وطردوهم منها، وأراد مروان بن الحكم أن يستودعه أهله وأولاده، ويأمن عليهم عند من يحميهم من القتل والتشريد، فلم يقبلهم أحد، فضمهم الإمام زين العابدين عليه السلام إلى عياله، وحماهم بكنفه، وأحسن إليهم، ودافع عنهم، ولم يدع أحداً يصل إليهم بسوء.

والحكم والد مروان كان يؤذي الرسول ﷺ في مكة، ويستهزىء به، ويخبر عنه المشركين، وقد عفا النبي عنه فيمن عفا من الأمويين يوم الفتح. وابنه مروان قاد الجيوش يوم الجمل مع عائشة وطلحة والزبير لحرب أمير المؤمنين علي عليه السلام، وعفا عنه بعد أن وقع أسيراً في قبضته، فتركه لينضم إلى معاوية يحارب عليّاً في صفين، وبعد أن استتب الأمر لمعاوية، ونصب مروان والياً على المدينة جعل مروان يؤذي الإمام الحسن عليه السلام، ويجرعه الغيظ، ثم كانت مجزرة الطف، وظهرت مخازي الأمويين في أبشع صورها.

وبعد هذا كله لا يصفح الإمام زين العابدين عليه السلام عن أسواء أمية، ويتجاهلها فحسب، بل أحسن إليهم، وحمى لهم العيال والأطفال، وضمهم إلى أهله وأولاده، ودفع عنهم السوء والأذى، هذا بعد أن ذبح الأمويون أخاه الرضيع، وأوطأوا الخيل صدر أبيه وظهره، وأسروا الإمام زين العابدين عليه السلام مع عمّاته مكبّلاً بالحديد، وهو لما به من السقام والآلام.

ويعجب كل من عرف هذه الحقيقة، ويتساءل في حيرة وذهول: كيف فعل الإمام زين العابدين عليه السلام هذا الفعل مع من وقف ذاك الموقف معه ومع جده وأبيه

وعمه وإخوته ونسائه؟! وهل هذا حلم وعقل، أو إنسانية ورحمة؟!

والجواب أن هذا سمو وترفع عن كل ما في هذه الحياة، سمو عن طبائع البشر وانفعالات الناس، وعما يشترك فيه أنا وأنت وغيرنا، إن هذا من صنع الإمامة والعصمة لا من صنعي وصنعك، ولا من صنع الذين يخطبون ويعظون.

لقد عفا محمد ﷺ عن أبي سفيان وزوجته هند، وعن وحشي وغيرهم. عفا عنهم، لأنه مختار من الله لا من الناس، وعفا علي عليه السلام عن مروان وابن العاص، لأنه إمام بإرادة السماء لا بانتخاب أهل الأرض وفعل زين العابدين ما فعل، لأنه الإمام ابن الإمام أبي الأئمة الأطهار القائمين بحجة الله على جميع خلقه.

فلا بد إذن أن يحسن الإمام زين العابدين عليه السلام لمن أساء إليه، ولا عجب أن يفعل الأمويون ما فعلوا، وإنما العجب أن لا يحسن الإمام لمن أساء إليه، وأن لا يسيء الأمويون إلى من أحسن إليهم وإلى الناس أجمعين، وهذا هو جواب الشاعر الذي قال:

وعليك خزي يا أمية دائم
يبقى كما في النار دام بقاك

فلقد حملت من الآثام جهالة

ما عنه ضاق لمن وعاك وعاك

هلا صفحت عن الحسين ورهطه

صفح الوصي أبيه عن آباك

وعففت يوم الطف عفة جده الـ

ـمبعوث يوم الفتح عن طلقاك

أفهل يد سلبت إماءك مثلما

سلبت كريمات الحسين يداك

أم هل برزن بفتح مكة حسَّراً

كنسائه يوم الطفوف نساك



حب الله والرسول ﷺ

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٣].

إن هذه الآية الكريمة نص صريح في صفات عمر بن سعد، حتى كأنها نزلت فيه بالذات. فلقد دعاه الحسين عليه السلام إلى أن يكون معه، ويدع ابن زياد، فقال ابن سعد: أخاف أن تهدم داري. وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾:

قال الحسين: أنا أبنيها لك.

قال ابن سعد: أخاف أن تؤخذ ضيعتي. وهذا ما دل عليه قوله سبحانه: ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ [التوبة: ٢٣].

قال الحسين عليه السلام: أنا أخلف عليك خيراً منها.

قال ابن سعد: إن لي بالكوفة عيالاً أخاف عليهم

ابن زياد. وهذا ما أشار إليه قوله عز وجل: ﴿وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٣].

هذا هو مبدأ ابن سعد الذي عليه يموت ويحيا: ضيعته وداره وأهله وعشيرته، أما الدين والضمير، أما الله ورسوله فألفاظ يجترها ما دامت تحفظ له الضيعة والدار، والأبناء والأقارب. حارب ابن سعد حسيناً بدافع المنفعة الشخصية وحب الدنيا، وكل من آثر المال والأهل على طاعة الله والرسول ﷺ فإنه على مبدأ ابن سعد ودينه، وإن بكى على الحسين عليه السلام حتى ابيضت عيناه، ولعن ابن سعد في اليوم ألف مرة، ما دام لا يفعل إلا بنفس الباعث الذي بعث ابن سعد على قتل الحسين عليه السلام.

قال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين. وإذا عطفنا هذا الحديث الشريف على الحديث الذي رواه السنة والشيعة: «حسين مني، وأنا من حسين» تكون النتيجة الطبيعية أن العبد لا يؤمن حتى يكون الحسين عليه السلام أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين.

وقد وجد بين المسلمين من الرجال والنساء من أحب النبي ﷺ هذا الحب، وفدوه بالأرواح والأولاد،

فلقد فرّ الناس عنه يوم أحد، وثبت معه الإمام علي عليه السلام وأبو دجانة وسهل بن حنيف وعاصم بن ثابت ونسيبة بنت كعب المازنية، وكانوا يتلقون الضرب والطعن عن الرسول صلى الله عليه وآله، وكانت نسيبة تخرج معه في غزواته تداوي الجرحى، وكان ابنها مع من كان في أحد فأراد أن ينهزم ويتراجع، فقالت له: يا بني أين تفر عن الله والرسول؟! فردته وحمل عليه رجل فقتله، فأخذت سيفه، وقتلت به قاتله، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: بارك الله فيك يا نسيبة، وكانت تقي الرسول بصدرها وثدييها حتى أصابتها جراحات كثيرة.

وتجمع الناس مع الحسين عليه السلام؛ وهو سائر في طريقه إلى العراق، ولما جد الجد تفرقوا عنه، كما تفرقوا عن جده من قبل، ولم يبق معه إلا صفوة الصفوة من الذين أحبوا الله والرسول وآله، وآثروا الموت من أجلهم على الأهل والمال، قال عباس بن أبي شبيب:

يا أبا عبد اللّه، أما والله ما أمسى على وجه الأرض قريب ولا بعيد أعز علي، ولا أحب إليّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز علي من نفسي لفعلت. السلام عليك يا أبا عبد اللّه، أشهد أني على هديك وهدي أبيك، ثم مشى بالسيف إلى المعركة.

فرآه رجل من جيش ابن سعد، وكان قد شاهده في المغازي والحروب، فنادى بأصحابه: أيها الناس هذا أسد الأسود، هذا ابن شبيب فلا يبرز إليه أحد، فأخذ شبيب ينادي إلا رجل إلا رجل، فتحاماه العسكر، فنادى ابن سعد أرضخوه بالحجارة، فرموه بها من كل جانب، فألقى درعه ومغفره، وشد عليهم، فكان يطرد أمامه أكثر من مأئتين.

وما أشبه موقف أم وهب في كربلاء بموقف نسيبة في أحد، قالت لابنها وهب؛ قم يا بني وانصر ابن بنت رسول الله. قال: افعل يا أماه، ولا أقصر. وحمل على جيش الأعداء، حتى قتل منهم جماعة، فرجع إلى أمه وامرأته، وقال: يا أماه أرضيت؟ فقالت: كلا، إلا أن تقتل بين يدي الحسين. فقالت له امرأته: بالله عليك لا تفجعني في نفسك. فقالت أمه: لا تقبل منها، ارجع وقاتل، فيكون رسول الله شفيعاً لك يوم القيامة، فرجع، وهو يقول:

إنـــي زعـــيـــم لـــك أم وهـــب

بـالـطـعـن فـيـهـم تـارة والـضـرب

حسبي إلهي من عليم حسبي

ولم يزل حتى قتل تسعة عشر فارساً، واثني عشر

رجلاً، ثم قطعت يداه، فأخذت أمه عموداً، وأقبلت نحوه، وهي تقول: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين حرم الرسول، وأراد أن يردها إلى النساء، فأخذت بجانب ثوبه، وقالت: لن أعود حتى أموت معك. فقال لها الحسين عليه السلام: ارجعي، جزيتم من أهل بيت خيراً، فرجعت.

وقاتل وهب حتى قتل، فذهبت امرأته تمسح الدم عن وجهه، فبصر بها شمر، فأمر غلاماً له، فضربها بعمود كان معه على رأسها، فشجها وقتلها، وهي أول امرأة قتلت في عسكر الحسين عليه السلام.

وكان غلام مع أمه في كربلاء قتل أبوه في المعركة، فقالت له أمه: اخرج يا بني وقاتل بين يدي الحسين، فخرج، ولما رآه الحسين عليه السلام، قال: هذا شاب قتل أبوه، ولعل أمه تكره خرجه. فقال الغلام: أمي أمرتني بذلك فبرز وهو يقول:

أميري حسين ونعم الأمير
سرور فؤاد البشير النذير
علي وفاطمة والداه
فهل تعلمون له من نظير

وقاتل حتى قتل. فأخذت أمه رأسه، وقالت:

أحسنت يا بني، يا سرور قلبي، ويا قرة عيني.

أرأيت إلى هذه!.. أم لا ترضى عن ولدها، وأعز من كبدها إلاّ أن تراه مضرجاً بدمائه جثة بلا رأس!.. ولا عجب أنه حب لله ورسوله وعترته، وليس كمثل الله ورسوله وعترته شيء، فكذلك حبهم عند المؤمنين حقاً لا يعادله شيء، حتى الأرواح والأبناء.

بهذا الحب، بهذا الإخلاص لأهل البيت عليهم السلام، بهذه التضحية، بهذه الروح وجدها يستعد المؤمنون الخلص لما بعد الموت، بهذا الزهد في العاجل يقفون غداً مرفوعي الرؤوس أمام جبار السموات والأرض.

لقد ترك أصحاب الحسين عليه السلام الدنيا وما فيها لله وفي الله. وضحوا بالأرواح والأزواج والأبناء والأموال في حب الحسين عليه السلام، ومودة القربى، وإعلاء كلمة الحق، فكانوا مع الحسين عليه السلام وجده في الآخرة، كما كانوا معه في الدنيا، وحسن أولئك رفيقاً. قال الإمام الباقر عليه السلام: إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله عز وجل، ويبغض أهل معصية فإن فيك خيراً، وإن كان يحب أهل معصية الله ويبغض أهل طاعته فليس فيك خير، والله يبغضك والمرء مع من أحب.

عجباً لقلبي وهو يألف حبكم

لم لا يذوب بحرقة الأرزاء

وعجبت من عيني وقد نظرت إلى

ماء الفرات فلم تسل في الماء



عداء في الله

وما كل جد في الرجال محمد

ولا كل أم في النساء بتول

أجل، ولا كل أب كعلي عليه السلام، ولا كل أخ كالحسن عليه السلام، ولا كل أخت كزينب عليها السلام، ولا كل ابن كزين العابدين عليه السلام، ولا كل أصحاب كحبيب وزهير وبرير، ولا كل شهيد كالحسين عليه السلام، ويقف يزيد في الموقف المعاكس المناقض في نسبه وأخلاقه وأصحابه، فلا سكير وشرير كيزيد، ولا أحد أخبث من أبيه معاوية، ولا عدو لله ورسله أعدى من جده أبي سفيان، ولا آكلة لأكباد الشهداء، كجدته هند، ولا أصحاب أكثر لؤماً وجرماً من ابن زياد وشمر وابن سعد.

قال الإمام الصادق عليه السلام: نحن وآل أبي سفيان تعادينا في الله، قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله. فالعداء، إذن، بين الصدق والكذب، وبين الكفر الذي يتمثل بالأمويين، وبين الإيمان الذي يتجسم بأهل

البيت، وقد حاول معاوية أن يجمع الحق والباطل، ويجري المصالحة بين الرحمن والشيطان، فكتب إلى مروان بن الحكم، وكان على المدينة، أن يخطب بنت زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام، وأبوها عبد اللّه بن جعفر، أن يخطبها لابنه يزيد، فكلم مروان أباها عبد اللّه، فقال له: إن أمرها إلى سيدنا الحسين خالها، فذهب مروان إلى الحسين عليه السلام، وقال له: إن معاوية أمرني أن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، مع قضاء دينه، وصلح ما بين هذين الحيين، وأن من يغبطكم بيزيد أكثر ممن يغبطه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد، وهو كفؤ من لا كفؤ له، وبوجهه يستسقى الغمام!..

فقال الحسين عليه السلام: الحمد لله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، أما قولك يا مروان مهرها حكم أبيها، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في بناته ونسائه، وهو أربعمائة وثمانون درهماً، وأما قولك عن قضاء دين أبيها فمتى كان نساؤنا يقضين عنا الديون؟! وأما صلح ما بين الحيين فنحن عاديناكم في الله، فلا نصالحكم للدنيا، وأما قولك كيف يستمهر يزيد فقد استمهر[1] النبي صلى الله عليه وآله،

---

(١) استمهر، أي دفع المهر.

وأما قولك يزيد كفؤ من لا كفؤ له فمن كان كفؤه قبل اليوم فهو كفؤه اليوم ما زادته إمارته في الكفاءة شيئاً، أما قولك بوجهه يستسقى الغمام فإنما ذاك وجه رسول الله ﷺ، وأما قولك من يغبطنا به أكثر ممن يغبطه بنا، فإنما يغبطنا به أهل الجهل، ويغبطه بنا أهل العقل، ثم اشهد الحسين عليه السلام من حضر على أنه زوج ابنة شقيقته، وكانت تدعى أم كلثوم، من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب.

أراد يزيد ابن آكلة الأكباد الزواج من بنت العقيلة زينب بنت علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام، وخيل لأبيه معاوية، وهو صاحب العرش والتاج أن بمقدوره الجمع بين الفجور والقداسة، بين الشجرة الملعونة في القرآن، ومن أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، ولكن الحسين عليه السلام ألقى عليه درساً من أهم الدروس وأبلغها، وأفهمه أنه، وإن امتد سلطانه، وكثر ماله فهو أذل من ذليل، وأخس من خسيس، وأحقر من أن يكون كفؤاً للطيبين الأبرار، أفهمه أنهم أهل بيت لا يتزوجون ولا يزوجون زواجاً تجارياً، وأن الخصومة بين البيتين ليست

وجعل المهر أربعمائة وثمانين درهماً، ونحلها ضيعة له، وكانت غلتها ثمانية آلاف دينار.

على الجاه والسلطان، ولا على المال والحطام، وإنما هي خصومة في الله، وبين من كذّب الله وصدقه.

وهذا هو السبب الأول والأخير الذي باعد بين العترة الطاهرة وأمية الفاجرة، وهذا هو التفسير الصحيح لمذبحة كربلاء. ومن الخطأ أن يعد من أسباب هذه الكارثة رد يزيد حين أراد الزواج من بنت العقيلة، ومنعه من الوصول إلى زينب زوجة عبد اللّه بن سلام، كلا، لا سبب إلا العداء في الله، إن أهل البيت عليهم السلام لا يحبون ولا يبغضون إلا في الله، فإذا زوجوا، أو تزوجوا، أو رفضوا، فعلى هذا الأساس وحده، فهو مبدأهم وهدفهم وشعارهم.

لم يطلبوك بثأر أنت صاحبه
ثار لعمرك لولا الله لم يثأر

هذا كتاب الله

نكث طلحة والزبير بيعة الإمام علي عليه السلام، وتحالفا مع عائشة على حربه، وجمعوا عليه الجموع يوم الجمل، ونكلوا بعامله ابن حنيف، وقتلوا كثيراً من الصالحين الآمنين، وحين قابلوه وجهاً لوجه، وشرعوا عليه السيوف والرماح دعا أمير المؤمنين عليه السلام بمصحف، وقال من يأخذه ويدعوهم إلى ما فيه، فيحيون ما أحياه، ويميتون ما أمات. فقام فتى، اسمه مسلم المجاشعي، وقال: يا أمير المؤمنين أنا آخذه وأدعوهم إلى ما فيه.

فقال له الإمام: إنك إن فعلت ذلك لمقتول. فقال الفتى: والله يا أمير المؤمنين ما من شيء أحب إلي من الشهادة بين يديك، فأخذ المصحف وتوجه إلى عسكرهم، فنظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: إن الفتى ممن حشا الله قلبه نوراً وإيماناً، وهو مقتول، وقد أشفقت عليه من ذلك، ولن يفلح القوم بعد قتلهم إياه، فمضى الفتى بالمصحف حتى وقف بإزاء عسكر عائشة، وكان له صوت، فنادى: معشر الناس، هذا كتاب الله

وان أمير المؤمنين علي بن طالب يدعوكم إلى الحكم بما أنزل الله فيه، فأنيبوا إلى طاعة الله، والعمل بكتابه، وكانت عائشة وطلحة والزبير يسمعون فأمسكوا عن الجواب، وبادر أصحاب الجمل إلى الفتى، والمصحف في يمينه فقطعوا يده اليمنى، فتناول المصحف بيده اليسرى، وناداهم بأعلى صوته مثل ندائه الأول، فقطعوا يده اليسرى، فاحتضن المصحف، ودماؤه تجري عليه، وناداهم إلى العمل به، فقتلوه، قطعوه إرباً إرباً، فقال الإمام: والله ما كنت في شك ولا لبس من ضلالة القوم وباطلهم، ولكن أحببت أن يتبين لكم ذلك.

أحب الإمام أن يبين للناس وللأجيال أنه ومن اتبعه على حق وهداية، وأن من حاربه وعانده على باطل وضلالة، أراد أن يقيم الدليل المحسوس الملموس على أنه إمام العدل والرحمة، وخصومه أئمة الظلم والجور ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾.

وهكذا فعل ولده الحسين عليه السلام يوم الطف، فما أن كانت صبيحة اليوم العاشر من المحرم حتى لبس عمامة جده رسول الله ورداءه، وتقلد سيف جده، وركب ناقته أو فرسه المعروفة، وضع المصحف أمامه، واتجه إلى الذين تجمعوا على قتله، وشرعوا السيوف والرماح في وجهه،

ورفع يديه إلى السماء، وقال على مسمع من الجميع:

اللهم أنت ثقتي في كل كرب، وأنت رجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو أنزلته بك، وشكوته إليه رغبة مني إليك عمن سواك، ففرجته عني وكشفته وكفيته؟! فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة.

وبعد أن ناجى ربه بهذه الدموع الحزينة والقلب النقي التفت إلى جموع الضلال، وقال:

أما بعد، فانسبوني وانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟! ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين المصدق لرسول الله ﷺ بما جاء به من عنده ربه؟! أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟! أو ليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي؟! أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟! فإن صدقتموني بما أقول، وهو الحق، والله ما تعمدت كذباً منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإن فيكم من ان سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد اللّه الأنصاري، وأبا سعيد

الخدري وسهيل بن سعد الساعدي وزيد ابن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أما في هذا زاجر لكم عن سفك دمي. . . وإن كنتم في شك من هذا، أفتشكون اني ابن بنت نبيكم، فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال استهلكته أو بقصاص جراحة؟!. .

ولم يرد الحسينعليه السلام بهذه المظاهرة التي اهتزت لها الأرض والسماء، وأغضبت الله في عرشه، وأبكت محمداً في قبره أن يستعطف ويسترحم، كلا، إنه أجل وأعظم من أن يطلب العطف من اللئام والطغام، هذا، إلى أنه أعلم الناس بما هم عليه من القساوة والفظاظة؛ لقد أراد الحسينعليه السلام أن يثبت للعالم أن لا هدف لأعدائه وخصومه إلا التشفي والانتقام من الإسلام ونبي الإسلام، أراد كما أراد أبوه من قبل أن يبين للأجيال أن الولاء لأهل البيتعليهم السلام ولاء لله وللرسولصلى الله عليه وآله، وأن حربهم حرب لله وللرسول.

وقد أدرك شيعة أهل البيت هذه الحقيقة، فاتخذوها شعاراً لهم ولعقيدتهم. وأعلنوها في كل موطن وموقف تقرباً إلى الله ورسوله وعترته الأطهار.

يوم الطف يوم الفصل

إن يوم الطف يشبه يوم القيامة من جهات:

١ ـ قال الله سبحانه: وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم.

وعد الشيطان أتباعه بالفوز والنجاة، وحذرهم الله منه، فعصوا الرحمن، واتبعوا الشيطان، ولما جاء يوم الفصل أنكرهم، وتبرأ منهم، وقال: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

ووعد عبيد الله بن زياد عمر بن سعد ولاية الري إذا قاتل الحسين عليه السلام، وكان يتطلع إليها، ويطمع فيها، فقبل وقاد الجيوش، وحذره سيد الشهداء من العاقبة، وقال له: يابن سعد أتقاتلني؟! أما تتقي الله الذي إليه معادك؟! فأنا ابن من علمت، ألا تكون معي، وتدع هؤلاء فإنه أقرب الله تعالى؟!

ولما آيس منه الحسين عليه السلام قال: ما لك ذبحك الله على فراشك عاجلاً ولا غفر لك يوم الحشر، فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلا يسيراً. قال ابن سعد مستهزئاً: في الشعير كفاية.

وأخلف ابن زياد بوعده لابن سعد، كما أخلف الشيطان مع أتباعه، وصدق الحسين عليه السلام، فلم تمض الأيام حتى قتل عمر وابنه حفص على يد المختار.

٢ ـ قال تعالى في صفة أهل النار: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]. وهذه بالذات صفات الذين حاربوا الحسين في كربلاء، فقد وعظهم وحذرهم، وذكرهم بكتاب الله وآياته، ولكنهم صمّوا عن النبأ العظيم كما عموا:

وذكرت ما فجر الصخور فلم يكن
إلا قلوبهم هناك صخور

٣ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]. ينادي المنادي يوم القيامة: أين أهل الحق الذين اتبعوا المصلحين؟ فتأتي بهم الملائكة يزفون إلى الجنة. ثم يقال: هاتوا متبعي رؤوس الضلالة فتسوقهم الزبانية إلى جهنم. وقاد ابن سعد أهل الكوفة إلى غضب الله ونقمته، وقاد الحسين عليه السلام أصحابه إلى

رضوان الله ورحمته.

جاء الحديث عن النبي ﷺ أنه إذا كان يوم القيامة أقول لأمتي: كيف خلفتموني في الثقلين؟ فيقولون: أما الأكبر فعصيناه، وأما الأصغر فقتلناه. فأقول: اسلكوا طريق قادتكم، فينصرفون ضماً مسودة وجوههم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]. وانقسم الناس في كربلاء فريقين: فريقاً مع الحسين عليه السلام، وفريقاً مع ابن سعد، وبرز كل إنسان على حقيقته، وأخذ المكان الذي يستحقه، فلم يختلط الطالح مع الصالحين، ولا الصالح مع المجرمين، تماماً كما هو الشأن في يوم القيامة، حيث لا رياء ولا نفاق ومساومات.

وقد اختلط، في بدء الأمر وقبل المعركة، الطيب بالخبيثين، والخبيث بالطيبين، فكان مع ابن سعد الحر الرياحي، وأبو الشعثاء الكندي، وحين جد الجد، وجاء دور الغربلة والتصفية عدلا إلى الحسين عليه السلام، واستشهدا بين يديه. وبايع الحسين عليه السلام قوم على الموت، وكاتبوه، ثم نكثوا، وعادوا إلى طبيعتهم. وهكذا لم يبق مع ابن سعد إلا من كان على شاكلته لؤماً وخساسة يوردهم النار، وبئس الورد المورود، ولم يبق مع الحسين عليه السلام

إلا صفوة الصفوة يسير بهم إلى الجنة حتى إذا جاؤوها قال لهم خزنتها سلام عليكم فنعم عقبى الدار.

ومن تتبع سيرة أصحاب الحسين عليه السلام لا يجد لإخلاصهم وعزمهم نظيراً بين الشهداء، وأتباع الأنبياء، كما لا يجد شبهاً لتضحيات الحسين عليه السلام في التاريخ كله. وقد أثنى عليهم الشعراء بما هم أهل لأكثر منه. قال الشيخ حسن البحراني يصف إيمانهم وورعهم:

إن ينطقوا ذكروا أو يسكتوا فكروا
أو يغضبوا غفروا أو يقطعوا وصلوا
أو يظلموا صفحوا أو يوزنوا رجحوا
أو يسألوا سمحوا أو يحكموا عدلوا

وقال السيد مهدي الحلي في شجاعتهم:

من تحتهم لو تزول الأرض لا تنصبوا
على الهوى هضباً أرسى من الهضب

وتكفيهم شهادة الحسين عن كل مدح وثناء، قال: والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دون استئناس الطفل بمحالب أمه.

روي أن الحسين عليه السلام كان في يوم الطف كلما اشتد الأمر أشرق وجهه، وهدأت جوارحه، وسكنت نفسه،

حتى قال الناس بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت! وكيف يبالي بالموت، وهو ابن القائل: والله ما يبالي ابن أبي طالب أوقع على الموت، أو وقع الموت عليه. وهكذا كان أصحاب الحسين عليه السلام لا يبالون بالموت، بل يستبشرون به حيث يعلمون أنهم على حق، وغيرهم على باطل، فهم على يقين أنهم سيقفوا بين يدي الله مرفوعي الرؤوس، موفوري الكرامة.

قال برير بن خضير الهمداني لعبد الرحمن الأنصاري: ولكني لمستبشر بما نحن لاقون، والله ما بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم، ووددت أنهم مالوا علينا الساعة.

هذه صورة صادقة ناطقة بحقيقة الأصحاب جميعاً، وأنهم عند ثقة الإمام وقوله: يستأنسون بالمنية دون استئناس الطفل بمحالب أمه. لقد رخصت عندهم الأرواح، ولم يكترثوا بالمال والعيال، ما داموا مع النبي وآله.

وقال الحر الرياحي: إني أخير نفسي بين الجنة والنار، فوالله لا أختار على الجنة شيئاً، ولو قطعت وحرقت. أيقن الحر أن الجنة مع الحسين عليه السلام، وأن ثمنها القتل، وأن الحياة «قليلاً» مع ابن سعد، ثم يعقبها

العذاب الدائم، فاختار الموت مع الحق على الحياة مع الباطل، وكان مثالاً صادقاً لقول الإمام: «لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً».

وتقدم جون مولى أبي ذر[1] يطلب من الإمام الإذن بالبراز فقال له الإمام: اذهب لشأنك، إنما طلبتنا للعافية فلا تبتل بطريقتنا، فصعق جون من هذا الجواب، وقال: يابن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدة أخذلكم! والله إن ريحي لنتن، وإن حسبي للئيم، وإن لوني لأسود، فتنفس علي بالجنة، فيطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيض وجهي، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود بدمائكم.

أي والله إن الجنة في أنفاس الحسين عليه السلام، وفي

---

(١) جون عبد اشتراه الإمام علي بن أبي طالب، ووهبه للصحابي الجليل أبي ذر، يعينه على متاعب الحياة، وبعد وفاة أبي ذر انتقل جون إلى بيت الإمام علي عليه السلام، وبعد وفاة الإمام انتقل إلى بيت الحسن عليه السلام، وبعده إلى بيت الحسين عليه السلام، وحين خرج إلى العراق صحبه معه. وهكذا نشأ جون في أطهر البيوت وأقدسها، وكانت له هذه الخاتمة الطيبة. جون عبد رق يباع ويشرى كالسلع والحيوانات، ويزيد عربي قرشي يأمر وينهى، وتخضع له رقاب المسلمين!... فيا للغبن وسخرية الأوضاع!... ورحم الله أبا العلاء القائل:

أليس قريشكم قتلت حسيناً   وصار على خلافتكم يزيد

التراب الذي أريق عليه دم الحسين عليه السلام، وان بياض الوجه عند الله في الاستشهاد بين يدي الحسين عليه السلام، وان الدم الحسيب النسيب هو الذي يختلط بدماء الحسين عليه السلام.

لقد امتاز شهداء الطف بأمور: «منها» إن ضمتهم والحسين تربة واحدة، ومقام واحد، حتى أصبحت قبورهم مزاراً لجميع زوار الحسين عليه السلام. و «منها» أنهم ذهبوا إلى الله والرسول صلى الله عليه وآله في وفد يرأسه الحسين. و«منها» اختلاط دمائهم بدماء الحسين عليه السلام، وارتفاع رؤوسهم مع رأسه على الرماح، ووطء أجسامهم مع جسمه.

سل كربلا كم حوت منهم بدور دجى
كأنها فلك للأنجم الزهر

ويذكرنا موقف جون في كربلاء بموقف عمرو بن الجموح في أحد، كان عمرو من أصحاب الرسول، وكان رجلاً أعرج، وله بنون أربعة يشهدون المشاهد مع النبي صلى الله عليه وآله، ويوم أحد خرج أولاده مع الرسول صلى الله عليه وآله، فأراد هو الخروج أيضاً فحاول قومه أن يحبسوه، وقالوا له: أنت رجل أعرج، ولا حرج عليك، وقد ذهب بنوك مع النبي صلى الله عليه وآله، وماذا تبغي بعد هذا؟!

فقال يذهب أولادي إلى الجنة، وأجلس أنا عندكم ثم أخذ درقته، وذهب وهو يقول: اللهم لا تردني إلى أهلي، فخرج ولحقه بعض قومه، يكلمونه في القعود، فأبى وجاء إلى النبي ﷺ، وقال له: يا رسول الله إن قومي يريدون أن يحبسوني عن هذه المكرمة والخروج معك، والله إني أرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة.

فقال له: أما أنت، فقد عذرك الله، ولا جهاد عليك، فأبى فقال النبي لقومه وبنيه: لا عليكم أن تمنعوه، لعل الله يرزقه الشهادة، فخلوا سبيله فاستشهد رضوان الله عليه.

يوم الفتح

قال الإمام الصادق عليه السلام: إن الحسين لما فصل متوجهاً إلى العراق أمر بقرطاس، وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى بني هاشم، أما بعد فإنه من لحق بي استشهد، ومن تخلف لم يبلغ الفتح، والسلام.

ولم يرد الإمام بالفتح فتح البلاد والممالك، وإنما أراد ظهور أمر الله، وانتصار كلمة الإسلام، وقد كان الإمام على يقين من هذا الانتصار، ولذا قال: ومن تخلف لم يدرك الفتح، أي لم ينل شرف الجهاد في سبيل الدين. حاربت أمية صاحب الدعوة، وهي على الشرك ظاهراً وباطناً، ولما جاء نصر الله والفتح استسلمت، وأظهرت الإسلام، وأبطنت الكفر، ولما انتقل النبي صلى الله عليه وآله إلى ربه عادت إلى محاربة الإسلام، ولكن عن طريق الكيد والتآمر، كما تدل حكاية أبي سفيان مع الإمام حين بويع أبو بكر بالخلافة، حيث قال أبو سفيان لعلي: «ما بال هذا الأمر في أذل قبيلة من

قريش، ولو شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً» فرده الإمام وأفهمه أنه منافق يغش الإسلام، ويكيد للمسلمين.

ظن أبو سفيان أن الفرصة قد سنحت لبلوغ مآربه بموت الرسول، والنزاع على الخلافة، وما درى أن علياً حامي حمى الإسلام له بالمرصاد، كما كان له في بدر وأُحد والأحزاب؛ وتمضي الأيام، ويصبح ابن أبي سفيان ملكاً على المسلمين، فحاول أن يؤسس للكفر والإلحاد، ويجعل الملك في نسل الشراك إلى آخر يوم، ولكن الحسين عليه السلام له بالمرصاد كما كان علي لأبيه من قبل.

رأينا الاستعمار إذا ثارت عليه الشعوب المستضعفة، وأرادت التحرر من نيره واستغلاله يختار من أهل البلاد خائناً كيزيد، وينصبه حاكماً على الشعب، ويمنحه اسم الاستقلال، فيكون للخائن الاسم، وللاستعمار الحكم، وتبقى الأوضاع كما كانت، أو أسوأ حيث صبغت بالصبغة الشرعية، كما فعلت فرنسا بسوريا ولبنان، والإنكليز في مصر أيام فاروق، وفي العراق أيام بور سعيد، يقول الشاعر العراقي مخاطباً حاكم العراق في عهد الإنكليز:

فــأنــت لــلــحــكــم اســم
والإنــكــلــيــز الــمــســمــى

وهذا ما أراد معاوية تطبيقه بالذات من خلافة ولده يزيد، واستمرار الملك في نسل أبي سفيان، أراد أن يكون الاسم للإسلام في الظاهر، والحكم للشرك والإلحاد في الواقع. وسلك كل سبيل لتحقيق هذه الغاية، فمن دس السم بالعسل، إلى القتل بالسيف، ومن دفن الأحياء، إلى سب الأموات، إلى ما لا نهاية لجرائمه وموبقاته.

وما كانت لتخفى هذه الحقيقة على الحسين عليه السلام، وما كان ابن علي عليه السلام ليبخل بدمه على دين جده، كيف وهو القائل: «لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً» رأى الحسين عليه السلام أن الأمويين يخدعون الناس باسم الإسلام، كما يخدع عميل الاستعمار الشعب باسم الاستقلال، فأراد الإمام أن يفضحهم، ويثبت للملأ أنهم أعدى أعداء الإسلام، فنهض باسم الدين، وحقوق المسلين، يمثل شعور كل مسلم لا يستطيع الجهر بما ينوي ويضمر، نهض وهو أعزل إلا من الحق، وجابه الباطل صاحب العدة والعدد، ودعا إلى كتاب الله، وسنة الرسول صلى الله عليه وآله، فقتله

الأمويون، وذبحوا أطفال الرسول وسبوا نساءه، لا لشيء إلا لأنهم دعاة للدين والحق، فعرف الناس بعد وقعة الطف أن الأمويين ما زالوا مشركين، كما كانوا يوم بدر وأُحد والأحزاب، وأنهم لم يؤمنوا بالله ورسوله طرفة عين، وأنهم يضمرون للإسلام كل شر وعناد، وقد صور الشاعر هذه الحقيقة بقوله يصف يزيد بن معاوية:

لئن جرت لفظة التوحيد في فمه
فسيفه بسوى التوحيد ما فتكا
قد أصبح الدين منه يشتكي سقماً
وما إلى أحد غير الحسين شكا
فما رأى السبط للدين الحنيف شفا
إلا إذا دمه في كربلا سفكا

❀ ❀ ❀

يا ويح دهر جنى بالطف بين بني
محمد وبني سفيان معتركا
حاشا بني فاطم ما القوم كفؤهم
شجاعة لا ولا جوداً ولا نسكا
ما ينقم الناس منهم غير أنهم
ينهون أن تعبد الأوثان والشركا

وكان لفاجعة كربلاء دوي هائل اهتزت له الدنيا

بكاملها، حتى كأن النبي نفسه هو المقتول. وقامت الثورات في كل مكان يتلو بعضها بعضاً، حتى زالت دولة الأمويين من الوجود، وتمت كلمة الله بالقضاء على الشرك المستتر باسم الإسلام، وهذا ما عناه الحسين عليه السلام بقوله لبني هاشم: «ومن تخلف لم يدرك الفتح».

وإذا أردت مثالاً يوضح هذه الحقيقة فانظر إلى المظاهرات التي تقوم بها الشعوب ضد الحاكم الخائن، فإن المتظاهرين يعلمون علم اليقين أنه سيطلق عليهم النار، وأن القتلى ستقع منهم بالعشرات، ومع ذلك يقدمون ولا يكترثون بالموت، لأن غايتهم أن يفتضح هذا الخائن وأن يعرف العالم مقاصده ونواياه، فينهار حكمه ويبيد سلطانه، وتكون الدماء البريئة ثمناً لتحرر البلاد من العبودية والاستغلال.

ومن هنا كان لأصحابها هذا التقديس والتعظيم، تقام لهم التماثيل في كل مكان، وتسمى بأسمائهم فرق الجيش والشوارع، وتشاد الأندية والمعاهد، ويرتفع شأن أسرهم إلى أعلى مكان، ومن قبل لم يكونوا شيئاً مذكوراً.

ودماء كربلاء لم تكن ثمناً لحرية فرد أو شعب أو جيل، بل ثمناً للدين الحنيف، والإنسانية جمعاء، ثمناً لكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن هنا كان لها ما للقرآن

والإسلام من التقديس والإجلال، كما أن لدماء الأحرار ما لأوطانهم من التكريم والتعظيم، وكان لبني هاشم أسرة الحسين عليه السلام ما كان لأسر الشهداء الأحرار. وهذا ما عناه الحسين بقوله يوم الطف مخاطباً أهله وأرحامه: صبراً يا بني عمومتي صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هوانا بعد اليوم.

وسئل الإمام زين العابدين عليه السلام: من كان الغالب يوم كربلاء؟ فقال اسمع المؤذن تعرف الجواب. أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن عليّاً أمير المؤمنين بالحق ولي الله.

أوصى الحسين عليه السلام أهل بيته بالصبر بعدما استشهد جميع أصحابه، ولم يبق معه إلا ولده وولد علي وولد جعفر وولد عقيل وولد الحسن، وقد اجتمعوا يودع بعضهم بعضاً، وهم كالزهر في مقتبل العمر.

كرام بأرض الغاضرية عرسوا
فطابت بهم أرجاء تلك المنازل
أقاموا بها كالمزن فاخضر عودها
واعشب من أكنافها كل ماحل
زهت أرضها من بشر كل شمردل
طويل تجاد السيف حلو الشمائل

كـأن لـعـزرائـيـل قـد قـال سـيـفـه

لك السلم موفوراً ويوم الكفاح لي

حموا بالظبى دين النبي وطاعنوا

ثباتاً وخاضت جردهم بالجحافل

ولـمـا دنـت آجـالـهـم رحـبـوا بـهـا

كـأن لـهـم بـالـمـوت بـلـغـة آمـل

عطاشى بجنب النهر والماء حولهم

يـبـاح إلـى الـورّاد عـذب الـمـنـاهـل

فلم تفجع الأيام من قبل يومهم

بـأكـرم مـقـتـول لألأم قـاتـل

بدر والطف

كان أصحاب الرسول ﷺ في بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وكان المشركون ألف رجل.

وكان أصحاب الحسين عليه السلام في كربلاء ثلاثة وسبعين، وجيش العدو ثلاثين ألفاً أو يزيدون.

وقال النبي لقريش يوم بدر: خلوني والعرب، فإن أك صادقاً كنتم أعلى بي عيناً، وإن أك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري، فارجعوا. فأبوا عليه إلا القتال.

وقال الحسين عليه السلام لجيش ابن زياد: كتبتم إلي أن قد أينعت الثمار واخضر الجناب، وإنما تقدم على جنود مجندة، فأقبل. فإن كنتم كرهتموني، فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض. فأبوا عليه، كما أبى المشركون على جده من قبل.

وقال النبي ﷺ لأصحابه يوم بدر: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض.

وقال الحسين عليه السلام لأصحابه: قوموا رحمكم الله إلى

الموت الذي لا بد منه، وقال الإمام الصادق عليه السلام: لقد كشف الله الغطاء لأصحاب الحسين حتى رأوا منازلهم في الجنة.

وكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله يوم بدر يتسابقون إلى الموت ليصلوا إلى أماكنهم في الجنة، حتى أن عمر بن الحمام لما سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: قوموا إلى الجنة كان يأكل ثمرات في يده فرماها، وقال: لئن حييت حتى آكلهن، إنها لحياة طويلة..

وهكذا كان الرجل من أصحاب الحسين عليه السلام يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه، ليصل إلى مكانه في الجنة.

وقال المقداد بن الأسود للنبي يوم بدر: والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك، والله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن نقول: امض لأمر ربك فإنَّا معك قاتلون.

وقال الحسين عليه السلام لأصحابه: إن القوم إنما يريدونني، ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم، وأنتم في حل وسعة فقالوا: والله لا يكون هذا أبداً. فقال: إنكم تقتلون غداً كلكم، ولا يفلت منكم رجل. قالوا: الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك.

وقال أبو جهل يوم بدر: اللهم ان محمداً اقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فانصرنا عليه.

وقال يزيد لعلي بن الحسين عليه السلام: أبوك قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني سلطاني، ففعل الله به ما رأيت.

وقال يزيد فيما قاله للإمام زين العابدين عليه السلام: الحمد لله الذي قتل أباك. فقال له الإمام: لعنة الله على من قتل أبي.

وانتشر الإسلام بعد غزوة بدر، وتحرر الضعفاء من سيطرة الأقوياء.

وولد بكربلاء مبدأ جديد، هو الإيمان بأن الموت في سبيل الحق خير من الحياة مع المبطلين، وقضى هذا المبدأ على الأمويين وسلطانهم الجائر، ولقد أثبتت التجارب بأن إيمان الإنسان بحقه، وحرصه على حريته، وحفاظه على رزقه أقوى من كل سلاح وعتاد، فلقد تغلبت أفريقيا الجائعة العزلاء، وغيرها من الشعوب المستضعفة على المستبدين الأقوياء، تغلبت بقوة الإيمان بأن الإنسان يجب أن يعيش حراً كريماً، وهذا هو مبدأ الحسين عليه السلام الذي ضحى من أجله بنفسه وأهله.

ولا شيء أدل على قوة الصلة والشبه بين بدر وكربلاء من إنشاد يزيد، وهو ينكت ثنايا الحسين بقضيبه:

لـيـت أشـيـاخـي بـبـدر شـهـدوا
جـزع الـخـزرج مـن وقـع الأسـل
لأهـلـوا واسـتـهـلـوا فـرحـاً
ثـم قـالـوا يـا يـزيـد لا تـشـل
قـد قـتـلـنـا الـقـرم مـن سـاداتـهـم
وعـدلـنـاه بـبـدر فـاعـتـدل
لـعـبـت هـاشـم بـالـمـلـك فـلا
خـبـر جـاء ولا وحـي نـزل
لـسـت مـن خـنـدف إن لـم أنـتـقـم
مـن بـنـي أحـمـد مـا كـان فـعـل

كلا، لم ينتقم يزيد من بني أحمد، وإنما انتقم الله منه ومن بني أمية لبني أحمد وللإنسانية جمعاء، إنه لم يقتل مبدأ الحسين عليه السلام، وإنما قتل نفسه، وقضى على سلطانه، كما قالت السيدة زينب عليها السلام فيما قالت ليزيد بعدما سمعته يهتف بأشياخه:

تهتف بأشياخك!.. زعمت أنك تناديهم، فلتردن وشيكاً موردهم، ولتريدن أنك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت. اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك.

إنه ابن علي عليه السلام

لو حدثك محدث أن رجلاً بذلت له الملايين على أن ينطق بكلمة باطل لا يسأله عنها سائل، ولا يؤاخذه عليها مؤاخذ في هذه الحياة، فأبى وامتنع لا لشيء إلا لأن شفتيه تتنزه عن التفوه بالباطل، أو قال لك إن الملك قد أتاه لقمة سائغة بلا معارض ولا منازع على أن يقطع على نفسه وعداً بأن يسير على طريق من مضى من الملوك والحكام، فأبى وامتنع لا لشيء إلا لأنه لا يريد أن يكون مقلداً لغيره، ولا أن يعد ويخلف؛ فذهب الملك إلى غيره، فلم يهتم ولم يكترث، حتى كأنه نواة يلفظها من فمه، أو حصاة تسقط من يده، أو أخبرك مخبر أن عدواً قصد هذا الرجل للقضاء على حياته، ولما برز له وجهاً لوجه وتمكن من عدوه، وأصبح في قبضة يده، ورأى هذا العدو الموت نصب عينيه، طلب منه العفو والصفح، فعفا وصفح لا لشيء إلا رغبة في العفو والصفح، وهو يعلم علم اليقين أنه لو قتله لباء المقتول بالإثم، وكان للقاتل الفضل والعذر عند الله والناس.

لو حدثك بهذا أو بعضاً منه إنسان، أي إنسان، لقلت: إن محدثك لا يدري ما يقول، وأنه يتوهم ويتكلم، ذلك لأنا قد اعتدنا أن نرى الناس يكذبون ويراؤون، ويمرغون الجباه بتراب الأقدام من أجل الدرهم والدينار، وألفنا أن نقرأ ونسمع العهود والمواثيق في بيانات الحكام، وكلها عكس ما يؤمنون به ويدينون، وضد ما ينوون ويعملون، ورأينا كيف ينتقم الظافرون من خصومهم؟ وكيف يخيرونهم بين الموت والعبودية؟ حتى ولو كانت الخصومة في الرأي والاجتهاد. لذلك وغير ذلك تستبعد هذا النوع من الحديث، لأنك تأخذ بمبدأ قياس بعض الناس على بعض.

ولكن هذا ما حصل بالفعل، وشهد به القريب والبعيد، اقرأ تاريخ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، لتلمس هذه الحقيقة، وتؤمن بها إيمانك بوجودك، فقد بايعه عبد الرحمن بن عوف على أن يعمل بكتاب الله وسنة الرسول وسيرة الخليفتين أبي بكر وعمر، فقال له علي عليه السلام: اعمل بكتاب الله وسنة الرسول، وأرجو أن أفعل على مبلغ علمي وطاقتي، فبايع عبد الرحمن عثمان، ولو قال الإمام نعم لتمت له الخلافة بدون معارض، ولكنه أبى أن يكون مقلداً، أو أن يعد ويخلف. وفي يوم أُحد برز إلى طلحة ابن أبي طلحة،

وكان كبش الكتيبة فصرعه الإمام بضربة، ولما أراد أن يجهز عليه بالثانية، قال له طلحة: أنشدك الله يابن عم والرحم، فانصرف عنه، فقال له المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ فقال ناشدني الله والرحم، وترك ابن العاص بعد أن أصبحت حياته في يده، ولو قتله لدب الذعر في جيش معاوية، وتمزق شر ممزق، وعفا يوم الجمل عن مروان بن الحكم، وهو ألد الخصوم وأخطرهم، وسقى أهل الشام الماء بعد أن منعوه منه[1].

وقال قائل جاهل: إن الإمام لا يعرف السياسة، لأنه لو منع الماء عن أهل الشام، أو قتل مروان وابن العاص لضمن النصر بأيسر الأسباب، ويصح هذا القول في حق الذين تسيرهم منافعهم الشخصية ويستبيحون كل شيء في سبيلها، أما في حق الإمام الذي يرى الدنيا بكاملها أحقر من ورقة في فم جرادة، وأهون عليه من

---

(١) فكرت ملياً في صفح الإمام، وبقيت الليالي والأيام أبحث عن تفسير تركن إليه نفسي، فلم أجد وجهاً إلا أنه مخلوق مستقل قائم بنفسه، لا يشبه أحداً، ولا يشبهه أحد من الناس لا في الماضي ولا في الحاضر والمستقبل، فهو بطبعه ومزاجه يصفح عن قاتله وقاتل أولاده دون أي تكلف، كما يصفح عمن يسيء إليه بكلمة صغيرة نابية سواء بسواء، ولا أدل على ذلك من وصيته بقاتله ابن ملجم، وقوله: وإن تعفوا: أقرب إلى التقوى.

رماد أذرته الرياح في يوم عاصف، أما في حق الإمام الذي يرى الموت أيسر عليه من شرب الماء على الظمأ، أما الذي يرى الحذاء البالية خيراً ألف مرة من الملك والسلطان إلا أن يقيم حقاً أو يدفع باطلاً، أما هذا الملاك الذي لا يشبه أحداً، ولا يشبهه أحد من الناس، فلا يصح في حقه شيء من مقاييس الناس التي تقوم على الأطماع، والتهالك على الحطام.

وخير كلمة قرأتها في الاعتذار عن صفح الإمام عن أعدائه، واستخفافه بالملك ما قاله الأستاذ جرداق: «إن الذين يعترضون على الإمام يريدونه أن يكون معاوية بن سفيان، ويأبى هو إلا أن يكون علي ابن أبي طالب».

وهكذا أراد أتباع يزيد ومن على شاكلته أرادوا أن يكون الحسين عليه السلام كابن سعد وابن زياد حين طلبوا منه أن يبايع يزيد، ويأبى هو إلاً أن يكون الحسين بن علي عليه السلام، وإلا أن يحمل روح أبيه بين جنبيه، وإلا أن يرى الموت سعادة، والحياة مع الظالمين ندماً.

قال له قيس بن الأشعث يوم الطف: انزل على حكم بني عمك، فإنهم لم يروك إلا ما تحب. فقال له الحسين عليه السلام: لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد، ثم نادى يا عباد الله إني عذت بربي

وربكم أن ترجمون، إني أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

وحين هلك معاوية كتب يزيد إلى ابن عمه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان والياً على المدينة: أما بعد فخذ حسيناً بالبيعة أخذاً ليس فيه رخصة. ولما وصل الكتاب إلى الوليد أرسل في طلب الحسين عليه السلام، فدعا الإمام جماعة من مواليه، وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: إن الوليد قد استدعاني، ولست آمن أن يكلفني أمراً لا أجيبه إليه، فإن سمعتم صوتي قد علا، فادخلوا عليه، لتمنعوه مني، وسار الحسين عليه السلام إلى الوليد، فوجد عنده مروان بن الحكم، فقرأ الوليد كتاب يزيد على الحسين عليه السلام، فطلب الحسين عليه السلام منه الإمهال، فقال له الوليد: انصرف إذا شئت على اسم الله، فقال له مروان: والله لئن فارقك الحسين الساعة، ولم يبايع، لا قدرت منه على مثلها أبداً. احبس الرجل حتى يبايع، أو تضرب عنقه، فوثب الحسين عليه السلام، وهو يقول: يابن الزرقاء أنت تقتلني، أو هو، كذبت وأثمت؛ وخرج الحسين عليه السلام، ومعه مواليه.

فقال مروان للوليد: عصيتني. فقال الوليد: إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحب أن لي

ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها، وإني قتلت حسيناً، سبحان الله أقتل حسيناً لأنه قال: لا أبايع، والله إني لأظن أن امرأ يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة. وفي رواية أن الحسين عليه السلام قال للوليد: أيها الأمير إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر وقاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله.

ولما جن الليل أقبل الحسين عليه السلام إلى قبر جده، وقال: السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين ابن فاطمة فرخك وابن فرختك، وسبطك الذي خلفته في أمتك، فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني وضيعوني، ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك، ثم قام فصف قدميه للصلاة. فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً، وصلى ركعات، فلما فرغ من صلاته، جعل يقول:

اللهم هذا قبر نبيك محمد صلى الله عليه وآله، وأنا ابن بنت نبيك، وقد حضرني ما قد علمت. اللهم إني أحب المعروف، وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام، بحق هذا القبر، ومن فيه إلا اخترت ما هو لك رضا،

ولرسولك رضا، ثم بكى حتى إذا كان قريباً من الصبح وضع رأسه على القبر، فأغفى، فإذا برسول الله قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وشماله وبين يديه، فضم الحسين عليه السلام إلى صدره، وقبل بين عينيه، وقال: حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرملاً بدمائك مذبوحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتي، وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى، وظمآن لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي لا أنيلهم شفاعتي يوم القيامة، حبيبي يا حسين إن أباك وأمك وأخاك قد قدموا علي، وهم مشتاقون إليك، وإن لك لدرجات في الجنان لا تنالها إلا بالشهادة، فجعل الحسين عليه السلام ينظر إلى جده ويقول: يا جدّاه لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا، خذني إليك، وأدخلني معك في قبرك.

يا غيرة الله اغضبي لنبيه
وتزحزحي بالبيض عن اغمادها
من عصبة ضاعت دماء محمد
وبنيه بين يزيدها وزيادها
ضربوا بسيف محمد أبناءه
ضرب الغرائب عدن بعد ذيادها
يا يوم عاشوراء كم لك لوعة
تترقص الأحشاء من إيقادها

مـا عـدت إلا عـاد قـلـبـي غـلـة

حـرى ولـو بـالـغـت فـي إبـرادهـا

لا عذب الله أمي

لا عـذب الله أمـي انـهـا شـربـت
حـب الـوصـي وغـذتـنـيـه بـالـلـبـن
وكـان لـي والـد يـدعـى أبـا حـسـن
فصرت من ذا وذي أهوى أبا حسن

طلب هذا الشاعر من الله سبحانه الرحمة والرضوان لأمه وأن يبعد عنها العذاب والهوان، لأنها غذته حب الوصي منذ طفولته ونعومة أظفاره، وكانت السبب الأول لإيمانه، وحبه لمن أحب الله ورسوله، فكان أنَّى اتجه وتحرك يرن في أذنيه هذا الاسم الحبيب الذي يجد له أطيب الوقع على قلبه وسمعه، فهو يحمد الله على هذه السعادة، ويشكر لوالدته فضلها وحسن تربيتها. ورضوان الله ورحمته عليها وعليه.

خلق الله محمداً وأهل بيته معالم للدين، وسبلاً إلى الحق، فمن ضل عنهم فلن يهتدي إلى الله في طاعة، ولا يقبل منه عملاً، فلقد قرن الله سبحانه طاعته بطاعة

الرسول، فقال في الآية ٧١ من سورة الأحزاب: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ وقال في الآية ٣٣ من سورة محمد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ وقال في الآية ١٧ من سورة الفتح وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وقال في الآية ٨٠ من سورة النساء: مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ إلى غير ذلك من الآيات التي لم تفرق بين الله ومحمد في الطاعة والمعصية.

وكذلك الرسول الأعظم لم يفرق بين التمسك به والتمسك بأهل بيته، فقد جاء في كتاب ذخائر العقبى للحافظ الطبري ص١٦ طبعة ١٣٥٦هـ أن النبيﷺ قال: «أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة، وأغصانها في الدنيا، فمن تمسك بنا اتخذ إلى ربه سبيلاً» وجاء في الصفحة نفسها حديث الثقلين، وإذا عطفنا هذا الحديث على قوله تعالى: مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، كانت النتيجة أن أهل البيت هم الطاعات والحسنات، وأن أعداءهم هم المعاصي والسيئات، ومن أجل هذا قال الفرزدق:

من معشر حبهم دين وبغضهم

كفر وقربهم منجى ومعتصم

يدلنا هذا البيت دلالة صريحة واضحة على أن الموالين للعترة الطاهرة إنما يوالونهم ولاء عقيدة وإيمان، لا ولاء سياسياً، ويبغضون أعداءهم بغضاً دينياً لا حزبياً؛ وقد صرحت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بأن أعظم الفروض، بعد التوحيد ونبوة محمدﷺ، المودة في القربى. ولهذا وحده نجد تاريخ الإمامية في عقيدتهم وفقههم وأحاديثهم وشعرهم ونثرهم تاريخ ولاء واتباع لأهل البيتعليهم السلام، ونجد مؤلفاتهم وكتبهم في شتى أنواعها تزخر بأقوال الرسول، وآثار أبنائه، بل نجد العلماء والشعراء وغيرهم من الإمامية يستعذبون الموت والاضطهاد في حب آل محمد، والذب عنهم وعن تعاليمهم ومبادئهم؛ فلقد حبس الفرزدق لأنه ثار من أجل الإمام زين العابدينعليه السلام، وخاطب هشاماً بقصيدته الذائعة التي قال له فيها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا

هـذا عـلـي رسـول الله والـده
أمـسـت بـنـور هـداه تـهـتـدي الأمـم

❀ ❀ ❀

مـن مـعـشـر حـبـهـم ديـن وبـغـضـهـم
كـفـر وقـربـهـم مـنـجـى ومـعـتـصـم
مـقـدم بـعـد ذكـر الله ذكـرهـم
فـي كـل بـدء ومـخـتـوم بـه الـكـلـم
إن عـد أهـل الـتـقـى كـانـوا أئـمـتـهـم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

❀ ❀ ❀

ولـيـس قـولـك مـن هـذا بـضـائـره
العرب تعرف من أنكرت والعجم

والكميت القائل:

بني هاشم رهط النبي وإنني
بـهـم ولـهـم أرضـى مراراً وأغـضـب

هدمت داره، وطرد وشرد، لأنه أوقف لسانه وبيانه على نصرة الأئمة الأطهار.

ودعبل صاحب التائية الذائعة النائحة التي يقول فيها:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلا

وقد مات عطشاناً بشط فرات

إذن للطمت الخد فاطم عنده

وأجريت دمع العين بالوجنات

هذا الشاعر الثائر لاقى في حب محمد وعترته أبشع أنواع التنكيل والتعذيب.

وقال المتوكل للعالم الكبير ابن السكيت: أيهما أحب إليك: ابناي هذان المعتز والمؤيد، أو الحسن والحسين؟ فقال العالم: والله إن قنبراً خادم علي بن أبي طالب عليه السلام خير منك ومن ابنيك. فأمر المتوكل جلاوزته بسل لسانه من قفاه، ففعلوا ومات من ساعته.

والحبر الشهير بالشهيد الأول محمد بن مكي قتل وصلب ورجم، ثم أحرق لا لشيء إلا لأنه يتشيع لآل محمد، وهكذا كان مصير العالم العظيم زين الدين المعروف بالشهيد الثاني، وغير هؤلاء كثر لا يبلغهم الإحصاء تقبلوا القتل والعذاب مغتبطين بمرضاة الله ونصرة أوليائه.

لاقى محمد صلى الله عليه وآله من المعاندين كل عنت في سبيل الإسلام، فاستهزأوا به، وقال له قائلهم: أما رأى الله غيرك يبعثه رسولاً، وأغروا به الأطفال يرشقونه

بالحجارة، وألقوا عليه الأوساخ، وهو يصلي لله، وتآمروا على قتله، وعذبوا أتباعه، كصهيب وبلال وخباب وعمار وأبيه ياسر وأمه سمية التي طعنها أبو جهل في قلبها، فماتت وهي أول شهيدة في الإسلام.

وهكذا لاقى أبناء الرسول وشيعتهم في سبيل الدين والإسلام بل لاقوا أكثر وأكثر حتى قال قائلهم:

نحن بني المصطفى ذوو محن
تجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبة في الانام محنتنا
أولنا مبتل وآخرنا
يفرح هذا الورى بعيدهم
ونحن أعيادنا مآتمنا

وإذا كانت حياة الأئمة الأطهار كلها أحزان ومآتم حتى أيام الأعياد، فحقيق بنا، نحن الموالين لهم، أن نجعل هذه المآتم من شعائر الدين، فإذا اجتمعنا للعزاء فإنما نجتمع، كما نكون في الجامع للصلاة، وكما نكون في مكة المكرمة للحج لا نبغي إلا مرضاة الله وثوابه، نجتمع للعزاء أملاً أن تنالنا دعوة الإمام الصادق عليه السلام حين سأل ربه سبحانه بقوله:

«اللهم ارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا» «وارحم تلك القلوب التي حزنت واحترقت لنا. . .» «وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا. . .».



الاستهانة بالموت

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج[1]:

«قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد: ويحك، أقتلتم ذرية رسول الله ﷺ؟! فقال: عضضت بالجندل[2] إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلناه، ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها، كالأسود الضارية، تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي نفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية، أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنا فاعلين لا أم لك؟!».

ومن أجل ذلك صاح عمر بن الحجاج برفاقه المارقين:

---

(١) المجلد الأول عند كلامه في الإباء والشجاعة.

(٢) الجندل: الصخر العظيم.

يا حمقى أتدرون من تقاتلون؟! إنكم تقاتلون فرسان المصر وقوماً مستميتين. لا يبرز إليهم منكم أحد. ومن أجل ذلك أيضاً نهى ابن سعد أصحابه أن يبرزوا لأصحاب الحسين رجلاً رجلاً.

وليس هذا بعجيب ولا بغريب على من لا يبتغي شيئاً في هذه الحياة إلا وجه الله والدار الآخرة، ليس هذا غريباً على الحق إذا نازل الباطل، وعلى من سمع بعقله وقلبه صوت الله يناديه أقدم، ولك أحسن الجزاء. لقد عبر كل شهيد في الطف بأفعاله قبل أقواله عما قاله سيد الشهداء: «أما والله لا أجيبهم إلى شيء مما يريدون، حتى ألقى الله تعالى، وأنا مخضب بدمي».

لم يكن المال والأمان من أهداف أبطال الطف، لم يكن لهم إلا هدف واحد، يفتدونه بكل ما غلا وعز، ويستعذبون في سبيله كل شيء حتى الموت، ليس لأصحاب الحسين إلا هدف واحد لا غير هو التقرب إلى الله بنصرة العترة الطاهرة، ولا وسيلة إلى نصرتهم في هذا الموقف إلا بذل النفوس، والالتجاء إلى السيوف، فراحوا يحطمون الفرسان بسيوفهم يميناً وشمالاً ويلقون بأنفسهم على الموت، لا يحول بينهم وبين المنية حائل، وما زادهم الحصار والجوع والعطش إلا بسالة ومضاء.

ولم تكن لأصحاب الحسين عليه السلام هذه الشجاعة والاستهانة بالموت، ولا هذه العاطفة السامية والمعاني النبيلة لولا إيمانهم بالله وبالحسين عليه السلام. إن الإخلاص للحق يبعث في النفوس البطولة والتضحية، والعزم والصراحة. وهذا ما يجعلنا نشكك بالذين يظهرون الإيمان، ولا يجرأون على التفوه بكلمة الحق طمعاً في حطام زائل، أو خوفاً على منصب لا يدوم، ومن أجله يؤثرون أهواء أهل الدنيا على إرادة الله والرسول. قال أمير المؤمنين عليه السلام: أشجع الناس من غلب هواه. وقال: علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك. لا يؤنسنك إلا الحق، ولا يوحشنك إلا الباطل.

وما نقله ابن أبي الحديد عن الرجل الذي شهد يوم الطف يدل دلالة صريحة واضحة على صدق ما روي عن شجاعة أبطال الطف، وأن الواحد منهم كان يقتل جمعاً كثيراً من أصحاب ابن سعد قبل أن يقتل، وأنهم كانوا على قلتهم لا يحملون على جانب من جيش الكوفة إلا كشفوه، فلقد أرسل عروة بن قيس إلى ابن سعد، وكان قائده على الخيل، أرسل إليه يقول: ألا ترى ما تلقى خيلي منذ اليوم من هذه القلة اليسيرة؟! فأمده بخمسمائة من الرماة، فأقبلوا حتى دنوا من أصحاب الحسين عليه السلام،

ورشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا حتى عقروا خيولهم، وصاروا رجالة كلهم، وكان الباقون من أصحاب الحسين عليه السلام اثنين وثلاثين رجلاً، فاجتمع عليهم عسكر ابن سعد، وهم ألوف، واشتبكوا معهم في أشد قتال، حتى انتصف النهار، وقد قتل أصحاب الحسين عليه السلام من أهل الكوفة المئات.

فقد رماهم أبو الشعثاء الكندي، وهو جاث بين يدي الحسين عليه السلام بمائة سهم لم يكد يخيب منها خمسة أسهم. وكان نافع البجلي يكتب اسمه على نبله، ويرسلها، فيقتل بها، ويجرح، وقلما تخطىء، فأحاطوا به من كل جانب، وضربوه على ذراعيه حتى كسرتا، ثم أسروه والدم يسيل على وجهه وذراعيه، فلعنهم وأسمعهم ما يكرهون، وقال لهم: قتلت منكم اثني عشر رجلاً سوى من جرحت، ولو بقيت لي عضد لزدت.

وقتل حبيب بن مظاهر اثنين وستين رجلاً، كان يصول ويجول على شيخوخته وكبر سنه، ويستقبل الرماح بصدره، والسيوف بوجهه، وقد عرضوا عليه الأمان والأموال، فأبى وقال: لا والله لا عذر لنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله ان قتل الحسين عليه السلام، وفينا عين تطرف. فاجتمعوا عليه، وقتلوه. وكان حبيب صحابياً أدرك

النبيﷺ، وشهد مع أمير المؤمنينعليه السلام حرب الجمل وصفين والنهروان، وكان من خاصته وحملة علومه، وكان عابداً زاهداً يختم القرآن في ليلة واحدة.

وبعدما انتهت المعركة رجع ابن سعد إلى الكوفة، ومعه سبايا الحسين، فخرج النساء والأطفال ينظرون إلى السبايا، وكان مع من خرج القاسم بن حبيب بن مظاهر، وهو يومئذ غلام قد راهق الحلم، فرأى رأس أبيه معلقاً في عنق فرس[1] فأقبل الغلام مع الفارس لا يفارقه، فإذا دخل القصر دخل معه، وإذا خرج منه خرج معه، فارتاب به الرجل، وقال له: ما لك يا بني تتبعني؟ فقال

---

(١) كان أمير المؤمنين قد أخبر حبيباً بما يحدث له، وأخبر ميثم التمار بأنه يصلب وتبقر بطنه، وبعد وفاة الإمام عليعليه السلام التقى ميثم بحبيب، وكان كل منهما يركب فرساً، فقال حبيب يطايب ميثماً: كأني بشيخ أصلع قد صلب في حب أهل البيت، وتبقر بطنه فقال ميثم: إني لأعرف رجلاً أحمر يخرج لنصرة ابن بنت نبيه، فيقتل، ويجال برأسه في الكوفة. ثم افترقا، فقال قوم كانوا جالسين يسمعون كلامهما: ما رأينا أحداً أكذب من هذين. وقبل أن يفترق أهل المجلس أقبل رشيد الهجري، فسأل أهل المجلس عنهما، فقالوا: مرا من هنا، وقالا كذا وكذا. فقال رشيد، نسي ميثم أن يقول: إنه يزاد في عطاء من يأتي برأس حبيب مائة درهم. ثم أدبر، فقال أهل المجلس: هذا والله أكذبهم. ولكن لم تمض الأيام حتى شاهد هؤلاء ميثماً مصلوباً، ورأس حبيب يطاف به، وتحقق كل ما سمعوه.

الغلام: إن هذا الرأس رأس أبي، أعطني إياه حتى أدفنه. قال: إن الأمير لا يرضى أن يدفن، وأريد أن يثيبني على قتله. فقال له الغلام: ولكن الله لا يثيبك، وبكى.

ثم ذهب الغلام، ولم يكن له من هم إلا أن يقتل قاتل أبيه، ولم تمض الأيام حتى خرج مصعب بن الزبير، وكان القاتل مع جيش مصعب، فراقبه الغلام يلتمس الفرصة السانحة، وفي ذات يوم دخل عسكر مصعب، فوجد القاتل نائماً في فسطاطه، فضربه بسيفه حتى برد.

أنتم مؤمنون

أين المؤمنون؟ أين المسلمون حقاً؟ أين الأسوة والعزاء بالأنبياء والأولياء؟ وبالتالي أين الموالون للنبي وأهل بيته الذين أحبوا ما أحب الله ومحمد وعلي والحسن والحسين؟! قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله ورسوله لكفى به شقاقاً لله، ومحادة عن أمر الله».

نحن ننكر على عثمان بن عفان، لأنه آثر الأقارب والأرحام، وآوى عمه الحكم طريد رسول الله ولعينه[1]

---

(١) الحكم هذا هو أخو عفان أبي عثمان، وكان يؤذي رسول الله، وينبىء المشركين بأخباره. وذات يوم بينما يمشي رسول الله مشى الحكم خلفه يتفكك ويتمايل يختلج بفمه وأنفه مستهزئاً بالرسول فالتفت إليه، وقال له كن كذلك. فما زال بقية عمره كذلك. ثم أسلم خوفاً من القتل، فطرده الرسول من المدينة، ولم يزل خارجها بقية حياة الرسول وخلافة أبي بكر وعمر حتى تولى عثمان فرده إليها وقربه، وقالت عائشة لابنه مروان «اشهد أن رسول الله لعن أباك وأنت في صلبه».

وننكر على معاوية مبايعته لولده يزيد الذي أهلك الحرث والنسل، وننكر على ابن العاص، لأنه باع دينه إلى معاوية بولاية مصر، وننكر على ابن سعد، لأنه قتل الحسين عليه السلام أملاً بملك الري، أجل، إننا ننكر على هؤلاء وأمثالهم لا لشيء إلا لأنهم آثروا العاجلة على الآجلة، واستجابوا لأهواء الأولاد والأقارب، واستبدت بهم الشهوات والمنافع، ولم يرعوا أمر الله وحرمة الدين.

ونحن نكرم أهل البيت عليهم السلام، ونقيم لهم الحفلات، ونحيي الذكريات لأنهم جاهدوا وضحوا في سبيل الله، وجابهوا الباطل، وقاوموا العدوان ولم يثنهم الخوف على منصب أو ولد، ولكنا في نفس الوقت نستجيب لأهواء الأولاد والأقارب، وتستبد بنا الشهوات، ولم نراع لله أمراً ولا نهياً، تماماً كما فعل أعداء أهل البيت عليهم السلام، نحن في أقوالنا ومظاهرنا مع الرسول وعترته، وفي أفعالنا وواقعنا مع الذين حاربوا الله ورسوله، وعاندوا الحق وأهله.

نحن لا نطلب من المسلم أن يكون حسيناً، ولا كأصحاب الحسين عليه السلام، ولكن نطلب منه أن لا يكون كابن سعد وأصحاب ابن سعد نطلب أن لا يسمي الظلم

عدلاً، والباطل حقاً تملقاً لأبناء الدنيا ورغبة في ما بأيديهم، نريده أن يقول للظالم يا ظالم، ولا يسكت عن الحق. إن السكوت عن الحق ومداراة الطغاة وأصحاب المال والجاه لا تجتمع مع موالاة أهل البيت عليهم السلام الذين كانوا حرباً على كل طاغ وباغ؛ قال الإمام الباقر عليه السلام لجابر الجعفي:

«اعلم أنك لم تكن لنا ولياً إلا إذا اجتمع عليك أهل مصرك، وقالوا: إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك، ولو قالوا: إنك رجل صالح لم يسرك ذلك، ولكن اعرض نفسك على ما في كتاب الله، فإن كنت سالكاً سبيله، زاهداً في تزهيده، راغباً في ترغيبه، خائفاً من تخويفه فاثبت وأبشر، فإنه لا يضرك ما قيل فيك، وإن كنت مبايناً للقرآن فما الذي يغرك من نفسك؟! إن المؤمن معنى بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها».

فالمقياس هو القرآن. وما اهتم القرآن في شيء أكثر من اهتمامه بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩] وقال الفقهاء:

المعروف قسمان واجب وندب، والأمر بالواجب واجب، والأمر بالندب ندب، أما المنكر فكله حرام، فالنهي عنه واجب. وقال الإمام الباقر عليه السلام: يكون في آخر الزمان قوم سفهاء لا يوجبون أمراً بمعروف، ولا نهياً عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير... يقبلون على الصلاة والصيام، وما لا يكلفهم في نفس ولا مال، ولو أضرت الصلاة بأموالهم وأولادهم لرفضوها كما رفضوا أتم الفرائض وأشرفها».

أراد الإمام من أتم الفرائض وأشرفها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما قوم آخر الزمان فهم نحن، حيث نفعل المنكر غير مكترثين، أو نرضى به، أو نغض الطرف عن فاعله متذرعين بخوف الضرر، كما قال الإمام، متجاهلين الصبر على المكروه في جنب الله، وخدمة الدين؟ وأية فضيلة للمرشد إذا لم يعان المشقة والصعاب في سبيل الحق، وإعلاء كلمته.

فإياك أن تغتر بقول من قال: لا يجب التذكير إلا مع أمن الضرر واحتمال النفع[١] ولو صح قولهم هذا لما

---

(١) أما قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: 9] فليس النفع شرطاً حقيقياً للتذكير، وإنما هو أشبه بقول القائل: سله إن نفع

وجب التذكير في وقت من الأوقات، لأنه لا يخلو زمان من معاندين، ولا يسلم محق من جاحدين، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، وإلقاء الحجة لا بد منه. وإليكم المثل والدليل:

قبل أن يعلم الحسين عليه السلام بخبر ابن عمه مسلم كتب إلى جماعة من أهل الكوفة: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبر فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملئكم على نصرنا، والطلب بحقنا، فسألت الله سبحانه أن يحسن لنا الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فامكثوا في أمركم فإني قادم عليكم في أيامي هذه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأرسل الكتاب مع قيس بن مسهر الصيداوي، ولما

السؤال، لأن الأنبياء بعثوا للأعذار والإنذار، فعليهم التذكير على كل حال نفع أو لم ينفع.

قارب قيس الكوفة اعترضه الحصين بن نمير[1] فأخرج قيس الكتاب وخرقه، فحمله الحصين إلى ابن زياد، فلما مثل بين يديه، قال له: من أنت؟ قال: رجل من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وابنه. قال: لماذا خرقت الكتاب. قال: لئلا تعلم ما فيه. قال: ممن وإلى من؟ قال: من الحسين عليه السلام إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم. فغضب ابن زيادة وقال: والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم، أو تصعد المنبر فتلعن الحسين بن علي عليه السلام وأباه وأخاه، وإلا قطعتك إرباً إرباً.

فاغتنم قيس هذه الفرصة لصعود المنبر، وقال: أما القوم فلا أخبرك بأسمائهم، وأما اللعن فافعل، قال له: اصعد والعن، فصعد قيس، وحمد الله وأثنى عليه،

(١) كان الحصين على شرطة ابن زياد، وهو الذي رمى الكعبة بالمنجنيق لما تحصن فيها ابن الزبير، وقتل الحصين في ثورة التوابين، قال ابن أبي الحديد: إن أبا الحصين هو الذي سأل أمير المؤمنين عن عدد شعر رأسه حين قال سلوني قبل أن تفقدوني، فقال له: وما علامة الصدق لو أخبرتك؟ كيف تعد الشعر، ولكن أخبرك أن تحت كل شعر في رأسك شيطاناً يلعنك، وعلامة ذلك أن ولدك سيحمل الراية ويخرج لقتال ولدي الحسين، ولم تمض الأيام حتى تحقق ما قال الإمام.

وصلى على النبي، وأكثر من الترحم على علي والحسين والحسن، ولعن عبيد الله بن زياد وأباه، ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم، ثم قال: أيها الناس أنا رسول الحسين إليكم، قد تركته في مكان كذا، فأجيبوه، فأمر ابن زياد بإلقائه من أعلى القصر، فتكسرت عظامه، وبقي به رمق، فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه، فقيل له في ذلك وعيب عليه، فقال: أردت أن أريحه.

هؤلاء أصحاب يزيد وابن زياد كلهم عبد الملك بن عمير يذبحون الأموات، ويمثلون بالأبرار؛ أما أصحاب الحسين عليه السلام فكلهم قيس بن مسهر. أقدم قيس رضوان الله عليه وهو على يقين من قتله والتمثيل به، ولكن استخف بالموت ما دام الغرض الأسمى الذي قصد إليه قد تحقق، وهو تبليغ رسالة سيده الحسين، وإلقاء الحجة على أعداء الله.

والسر الأعظم في أصحاب الحسين عليه السلام أنهم يطلبون الموت بلهفة المشتاق، ويودون لو تكرر قتلهم مرات ومرات في سبيل الحسين عليه السلام. وهكذا المؤمنون المنزهون عن الأغراض والمطامع لا يخافون على أنفسهم من القتل، ولا على أولادهم من اليتم والضياع، وإنما يخشون الله وحده على دينهم وإيمانهم.



أولو العَزم

قال الله جل وعلا:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

نصت هذه الآية على أن أولي العزم من الأنبياء خمسة: وهم نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، ومعنى أنهم من أولي العزم أن لكل منهم شريعة خاصة، دعا إليها، وحث على العمل بها، ولاقى في سبيل ذلك الكثير من المصاعب والمتاعب، ولكنه صبر وثابر، بخاصة محمد ابن عبد الله ﷺ الذي قال: ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت، وأوصاه الله سبحانه بالصبر كما صبر من كان قبله من أولي العزم، حيث قال عز من قائل: فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ [الأحقاف: ٣٥].

أجل، ما أوذي نبي بمثل ما أوذي به محمد ﷺ،

ولكن ولده الحسين عليه السلام قد أصابه في سبيل الإسلام يوم كربلاء أشد وأعظم مما أصاب جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وصبر صبر الأنبياء والرسل، وأمر أهله وأصحابه بالصبر، فمن أقواله يوم الطف:

صبراً بني الكرام، فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضرّاء إلى الجنان الواسعة، والنعيم الدائم، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب، ان أبي حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جناتهم، وجسر هؤلاء إلى جهنمهم، ما كَذبت ولا كُذبت.

وقال وهو يودع عياله:

استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم.

لقد تحمل من أرزائها محناً

لم يحتملها نبي أو وصي نبي

وإن أعظم ما لاقاه محتسباً

عند الإله فسامى كل محتسب

حمل الفواطم أسرى للشئام على

عجف النياق تقاسي نهشة القتب

وما رأت أنبياء الله من محن

وأوصياؤهم في سالف الحقب

كمحنة السيد السجاد حين أتت

يزيد نسوته أسرى على النجب

أمامها رفعت فوق الأسنة من

حماتها أرؤس فاقت سنى الشهب

أمضي على دين النبي ﷺ

قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ [الصافات: ١٠٢ ـ ١٠٦].

كل إنسان له عاطفة وشهوات وميول، تقياً كان أو شقياً، والفرق أن الشقي إذا تصادمت عاطفته مع دينه تغلبت العاطفة على الدين، وكانت هي الغالبة، وهو المغلوب، فإذا مالت نفسه إلى الحرام اقتحمه غير مكترث بواعظ، ومزدجر بزاجر، أما التقي فعلى العكس يتغلب دينه على عاطفته، فإذا راودته النفس إلى المعصية وهم بها تذكر أمر الله ونهيه، وزجر مشاعره، ونهى نفسه عن ميولها وهواها.

والأشياء التي تقود العاطفة وتحركها كثيرة لا يبلغها

الإحصاء، كالجاه والمال والنساء، والولد والصداقة، وما إلى ذلك، ولكن عاطفة الأب تجاه ولدها أقواها جميعاً، فكم من عالم تثق به الناس قادته هذه العاطفة إلى المهالك، وأودت بدينه وجاهه وكيانه، وهنا يعرف المؤمن حقاً، ويتميز عن الزائف.

والآية الكريمة خير مثال على ذلك، فإن الوالد أرفق الناس بولده، وأحبهم إلى قلبه، ومع هذا فإن دين إبراهيم عليه السلام تغلب على هذا الرفق والحب، وهذه العاطفة الأبوية، وأقدم على ذبح ولده طاعة لله سبحانه.. وأيضاً استسلم ولده للذبح طاعة لخالقه رغم عاطفته ورغبته في الحياة.

وكذلك الحسين عليه السلام سلم للذبح ولديه علي الأكبر والطفل الرضيع وأخاه أبا الفضل، وجميع أقاربه وأصحابه، ثم ضحى بنفسه، وسلمها للسيوف والرماح والسهام طاعة لله جل وعز، وبرز إلى الموت مردداً شعاره الوحيد: امضي على دين النبي.

ومن أجل هذا الشعار القدسي استشهد علي عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وأصحابهم وشيعتهم الخلص، وهو المثل الأعلى لكل من والى آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله حقاً وصدقاً، والفلسفة الصحيحة للتشيع الحق التي لا

يحل محلها أية فلسفة أخرى.

عش في زمانك ما استطعت نبيلاً

واترك حديثك للرواة جميلا

ولعزك استرخص حياتك إنه

أغلى وإلا غادرتك ذليلا

تعطي الحياة قيادها لك كلما

صيرتها للمكرمات ذلولا

العز مقياس الحياة وضل من

قد عدّ مقياس الحياة الطولا

قل كيف عاش ولا تقل كم عاش من

جعل الحياة إلى علاه سبيلا

لا غرو ان طوت المنية ماجداً

كثرت محاسنه وعاش قليلا

قتلوك للدنيا ولكن لم تدم

لبني أمية بعد قتلك جيلا

ولرب نصر عاد شرّ هزية

تركت بيوت الظالمين طلولا

حملت بصفين الكتاب رماحهم

ليكون رأسك بعده محمولا

يدعون باسم محمد وبكربلا.

دمه غداً بسيوفهم مطلولا



لا عمل بعد اليوم

إن الذين رصدوا خطوات الحياة منذ درج الإنسان على وجه الأرض، واستعرضوا الماضي يدركون أن جيلنا هذا لم يستقل بخلق المدنية الحديثة وإيجادها، وإنما هي نتيجة لازمة لاطراد تقدم الإنسان ورقيه على سلم التصاعد منذ وجد حتى الآن، فالسلف شريك الخلف في كل ما تحويه المدنية من أفانين وأعاجيب. إن حلقة الاتصال بين الماضي والحاضر هي وراثة الثاني للأول، في جميع أشيائه المادية والمعنوية، إن حياة الإنسان من بدايتها إلى نهايتها بناية واحدة، وكل عصر هو حجر في بنائها، إذن نحن نعيش بالماضي والحاضر معاً، كما ستعيش الأجيال المقبلة بنا وبالمستقبل.

لمن هذه الأنظمة والقوانين التي ترتكز عليها السياسة؟ ومتى نشأت هذه الأديان التي شيدت لها المعابد والمعاهد، ونبتت بذورها وأينعت في كل قلب حتى سيرت الأمم والأفراد في مسالكها الخاصة والعامة؟ وأين أرباب هذه الألوف من الكتب التي

فرضت نفسها على الكليات والجامعات؟ أما منشأ اللغات وتطورها فعلمها عند ربي، فأي مادة تقع عليها العين نجت من يد الماضي! وأي روح لم تسترشد بحكمته وتهتد بسنائه؟ وكم حوت كنوز آبائنا العرب من جواهر الحكمة، فأضاعها وراثها الأقربون وانتفع بها الأباعد الغاصبون، واتخذوا من ثمارها وسيلة إلى الكبرياء والتعاظم علينا، وهي لنا ومن ميراثنا الذي ذهلنا عنه حتى أصبح فريسة الذئاب.

قرأت في مجلة «المختار» كلمة بعنوان «أطع هذا الحافز» للدكتور وليم مولتون، وهي على طولها وعرضها تتلخص بجملة نطق بها أحد أبطال الطف الذين ناصروا الحسين بن علي عليه السلام، وهو عابس بن أبي شبيب البطل العربي، قالها عندما رأى السيوف والرماح والسهام والأحجار تنهال وتتراكم على الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصابه، فأجج هذا المنظر في نفسه شعلة جعلت الدماء تشب في عروقه كاللهب المضطرم، وخيل إليه أن السماء والأرض قد استحالتا إلى دخان ورماد، فنظر إلى مولى كان معه يدعى شوذباً، وناداه يا شوذب ما في نفسك أن تصنع اليوم، قال شوذب: أقاتل حتى أقتل دون ابن رسول الله، قال عابس ذلك الظن بك ـ إنه لا عمل بعد اليوم ـ حكمة بالغة ليس كمثلها شيء إلا العمل بها،

ولو قالها غربي لقرأتها في كل صحيفة وسمعتها من كل لسان، ولكنه منا وعربي مثلنا.

وصدق شوذب القول بالفعل فقاتل حتى قتل، وماذا فعل عابس الذي نطق بهذه الحكمة الخالد ـ لا عمل بعد اليوم ـ تقدم من الحسين عليه السلام وقال: أما والله ما أمسى على وجه الأرض قريب أو بعيد أحب علي منك، ولو قدرت أن أدفع عنك القتل بشيء أعز علي من نفسي لعلت، ثم مضى إلى المعركة فعرفه رجل من أصحاب ابن سعد يدعى ربيع بن تميم وكان شاهده مع الإمام علي في صفين ورأى منه الأعاجيب، فصاح ربيع بأصحابه: أيها الناس هذا أسد الأسود لا يخرجن إليه أحد، فأخذ عابس ينادي إلا رجل فهابه القوم، فنادى ابن سعد: ويلكم أرضخوه بالحجارة، فانهالت عليه من كل جانب، فلما رأى عابس ذلك ألقى درعه ومغفره وشد عليهم؛ قال ربيع رأيته والله يطرد أمامه أكثر من مائتين، ثم تكاثروا عليه فقتلوه، واختصم الجيش في قتله وادعاه الجميع، فأصلح ابن سعد بينهم بقوله: هذا لم يقتله واحد، كلكم قاتله، فهدأت الفتنة.

قتل عابس وضحى بنفسه في سبيل مبدئه وإحياء عقيدته، ومات شهيد الحق والفضيلة، وبلغ بعمل ساعة

ما لم يبلغه غيره بعمل الدهر كله، وحاول ابن سعد أن يصرع الأقمار بالأحجار فهوت على رأسه وقلبه، ترجمه بها يد التاريخ ما وجد له قارئاً أو سامعاً.

إن نداء ـ لا عمل بعد اليوم ـ هو الشعار الوحيد الذي يعبر عن مبدأ شهداء الطف وعقيدتهم التي من أجلها نصبوا مهجهم هدفاً للسهام والرماح دون الحسين عليه السلام، وهل تجدي الأعمال كلها بعد قتل الحسين عليه السلام! إذن العمل كله في هذا اليوم بل في هذه اللحظة التي ما زال الحسين عليه السلام فيها حياً.

وقد ندم التوابون بعد قتل الحسين عليه السلام على تركهم نصرته، فنهضوا وثاروا وقتلوا، ولكن عملوا بعد قتل الحسين عليه السلام، ولا عمل بعد قتله إلا الحسرة والتلهف، قال شاعرهم عبد الله بن الحر:

فيا لك حسرة ما دمت حيّاً
تردد بين حلقي والتراقي
فلو فلق التلهف قلب حيّ
لهمّ اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الألى نصروا حسيناً
وخاب الآخرون إلى النفاق

وهذا تفسير قول أبي الشهداء ـ لا أرى الموت إلا

سعادة والحياة مع الظالمين إلا ندماً ـ لم يستفد من هذا الدرس الذي هو أبلغ دروس الحياة، سوى أبطال الطف الذين تسابقوا إلى الموت بين يدي الحق والفضيلة فرحين مستبشرين.

وبين هؤلاء الأبطال شبه كبير من الوجهة النفسية؛ فدرس بعضهم يوقفنا على حقيقة الباقين لا نستثني منهم سوى رجل واحد، هو الضحاك ابن عبد اللّه المشرقي، فإنه لازم الحسين عليه السلام من أول يوم حتى إذا لم يبق مع الإمام إلا اثنان الضحاك ثالثهم، استأذن الحسين عليه السلام فأذن له فركب فرسه ونجا، حاول الضحاك أن يلائم بين إرادة الحياة واحترام العقيدة، وأن تسالم كل واحدة جارتها، ولما وقع بينهما العداء والصراع قدم مصالحه الشخصية على عقيدته، على عكس النتيجة التي انتهى إليها الحر الرياحي.

تطوع الحر بن يزيد الرياحي في جيش ابن زياد لحرب الحسين عليه السلام، ولما أيقن أن الحسين عليه السلام مقتول لا محالة انسحب من جيش الكوفة وصحب معه ولده الشاب بكير وانضما إلى الإمام وقتلا معاً بين يديه، لقد كان في الحر حنكة ومرونة إلى جانب إيمانه القوي، فحاول أن يؤلف بين إيمانه وتقلبات البيئة والظروف فقال

في نفسه ـ أصانع القوم بما لا ينفعهم ولا يضر الحسين كي لا يظنوا أني خرجت من طاعة ـ ولما امتنع عليه الوئام بين إحياء العقيدة وإرادة الحياة استجاب إلى صوت ضميره الحي وقام بواجب الحق فضحَّى بحياته وحياة ولده في سبيل إحياء إيمانه الصادق.

قدم الحر عقيدته على حياته، وقدم الضحاك حياته على عقيدته، ولم يكن هذا الفارق الوحيد بين الرجلين، فقد بعث منظر القتل والقتلى في نفس الحر الشجاعة والإقدام على الموت، بينما بعث في نفس الضحاك الجبن الذي أدى به إلى الهزيمة والفرار. فر الضحاك رغبة في البقاء على نفسه وأهله، وقدم الحر ولده الشاب إلى المذبحة طيب النفس، ولما رآه قتيلاً يتخبط بدمه قال: الحمد لله يا بني الذي نجاك من القوم الظالمين ومن عليك بالشهادة بين يدي إمامك.

إن تطوع الحر في جيش ابن زياد وموقفه من الحسين عليه السلام بادىء ذي بدء لا يدل على عقيدته ودخيلة نفسه السامية، كما أن انضمام الضحاك إلى الإمام منذ اللحظة الأولى إلى قرب الشوط الأخير لا ينبىء عن زهده في الشهادة لأجل الحق، بل يشعر بالإقدام والتضحية.

من هذه المقارنة يدرك البصير أن ثوب الوطنية والطنطنة والتهويل، لا يدل على الإخلاص والتضحية، كما أن الهدوء وعدم الثرثرة والتشدق بالألفاظ الفارغة لا تكشف عن الخيانة والجبن ولكن:

إذا اشتبكت دموع في خدود
تبين من بكى ممن تباكى

ما أحب الباطل شاباً ولا كهلاً

في ليلة العاشر من المحرم، ضرب للحسين عليه السلام فسطاط، ليطلي بالمسك والنورة، ولما دخله وقف برير بن خضير الهمداني وعبد الرحمن ابن عبد ربه الأنصاري تختلف مناكبهما، يتضايقان، ليسبق كل واحد صاحبه إلى فاضل المسك، فيفوز بما لمسته أنامل الطهر والقداسة، فيعبق نشره مع نشر الدم الزكي، دم الشهادة والتضحية، قال: راوي الحديث: فأخذ برير يهازل عبد الرحمن ويضاحكه فأجابه عبد الرحمن دعنا، فوالله ما هذه بساعة باطل. قال برير: والله لقد علم قومي أني ما أحب الباطل شاباً ولا كهلاً. ولكني لمستبشر بما نحن لاقون، والله ما بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم، ووددت أنهم مالوا علينا الساعة.

إن الباطل في عرف القديسين مثل عبد الرحمن وبرير أن يختار الإنسان الحسن مع القدرة على الأحسن، فذكر الله في هذه الساعة التي هي أشبه ما تكون بساعة النزع وتسليم الروح خير من الدعابة،

والبكاء أولى من الابتسام، وما كان عبد الرحمن يجهل بريراً. كيف وقد تخرجا من مدرسة واحدة على معلم واحد، على سيد الوصيين وإمام المتقين الذي كان يلقنهم دروس الكمال بأفعاله قبل أقواله، ويعلمهم أن الاستخفاف بصغير الذنوب من أكبر الذنوب، لأنه استخفاف بالله وشرائعه وقوانينه!

لم تكن تلك الدروس التي تلقاها برير وعبد الرحمن عن المعلم الأعظم ألفاظاً تذروها الرياح، وأصواتاً لا تتجاوز الآذان، بل هي بذور تغرس في النفس فتحيا وتنمو إلى أن تصبح غرائز وملكات تحرك أربابها، وتقودهم إلى مرضاة الله ورضوانه.

لقد عرف عبد الرحمن بريراً كهلاً وما عرفه شاباً، والشباب مظنة الوقوع في الخطايا، فنفى برير الطيب الذي لم يلغ في حياته كلها بألفاظ اللهو والعبث، نفى عن نفسه هذه المظنة بحجة لا تعادلها حجة في القوة والصدق ـ والله لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ـ وأي حجة أقوى في الدلالة، وأصدق في الشهادة على سير الإنسان وسلوكه من شهادة قومه وعشيرته الذين صاحبوه كبيراً وصغيراً، وخالطوه غنياً وفقيراً، ورأوا أفعاله، وسمعوا أقواله في جميع أطواره

وأدواره في سره وعلانيته، ورضاه وغضبه، وحزنه وسروره، ونعيمه وبؤسه، لقد تمكن برير من نفسه وتغلب على شهواته في دور شبابه، دور طفولة العقل، والاستسلام إلى الملذات والأهواء، فهو كامل في شبابه، كامل في كهولته، لم يرتكب منكراً ولم يقترف سيئة لا أولاً ولا آخراً. وما أحب باطلاً البتة، وهؤلاء قومه وعارفوه، يشهد كبيرهم وصغيرهم أنه منذ صغره اهتدى إلى سبيل الرشد والسداد، يستبق الخيرات، ويسارع إلى المكرمات، يناصر الحق والعدالة، ويحارب الظلم والعدوان.

ومن أقواله وهو في معركة الطف:

يعرف فينا الخير أهل الخير
أضربكم ولا أرى من ضير
كذلك فعل الخير من برير
وكل خير فله برير

لقد ارتكز حبه الخير، وبغضه الشر على إيمانه القوي، وعقيدته في شخصيته، وثباته في عزمه، وثقته من مقدرته وشجاعته.

كان برير يوم الطف كلما تكررت الفظائع من العدو يقف منذراً ومحذراً عاقبة البغي مذكراً بالله تعالى وأهل

بيت الرسول ﷺ بقول لين خفيف على النفوس والأسماع، فما فاه بكلمة في موقف يشعر بهجر أو فحش.

فكان في مواقفه كلها متزناً في أقواله كاظماً لغيظه معتصماً بالصبر والأناة، لذلك عندما أكثر عليهم القول لم يزيدوا في جوابه حرفاً على قولهم: لقد أكثرت الكلام يا برير.

قال لهم في موقف: يا قوم اتقوا الله فإن ثقل محمد ﷺ قد أصبح بين أظهركم، وقال في موقف ثان: أفجزاء محمد هذا!؟ وفي ثالث لا أفلح قوم ضيعوا ابن بنت نبيهم، أف لهم غداً.

ولما حمل جيش البغي على الحسين وأصحابه عليهم السلام انقض عليهم برير كالصاعقة يفريهم بسيفه ويقول: أضربكم ولا أرى من ضير.

هذه ألفاظه، وهذا أسلوبه وخطابه مع قوم ما وضعت ألفاظ السباب واللعن إلا للدلالة على خساستهم. إن تلك الفظائع لم تخلق من برير رجلاً غير برير، فهو هو ذاك الوادع المتواضع والزاهد الخاشع الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذا كان برير عظيماً فكيف يفوه بالحقير الذي يستطيع النطق

به الطفل الصغير، والمرأة الضعيفة، والسفيه الفاجر، إذا كان برير عظيماً فليدع الكلام للسيف وحده. برز برير لقتال جيش الظلام وبين جنبيه قلب يستبشر بالموت استبشاره بعناق الحور العين، فلم يدن أحد منه لشجاعته وهيبته، فكان يحمل على الأعداء ويفرون من بين يديه خشية من لقائه، فيناديهم اقتربوا مني يا قتلة المؤمنين، اقتربوا مني يا قتلة أولاد رسول رب العالمين، ولما عجزوا عن مقاومته وجهاً لوجه اغتاله كعب بن جابر بطعنة رمح في ظهره، بعد أن قتل منهم ثلاثين رجلاً، فأودت الطعنة بحياته الطاهرة الزكية التي شهد لصاحبها الرجال والنساء من قومه وعارفيه أنه ما عرف الباطل شاباً ولا كهلاً؛ قال بعض من أعان على الحسين عليه السلام لكعب عندما رآه قاصداً اغتيال برير: ويلك هذا الذي كان يعلمنا القرآن، وأقسمت زوجته لدى رجوعه إليها أن لا تكلمه أبداً. لقد لبى برير دعوة ربه وقدم حياته قرباناً بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وفاز بكرامة الدنيا والآخرة.

وذلك هو الفوز العظيم.



السيدة زينب عليها السلام رمز لشيء عميق الدلالة

يحتفل المصريون في كل عام بمولد السيدة زينب عليها السلام، وتجتمع الحشود لهذه الغاية في مسجدها بالألوف، وكتب محرر مجلة «الغد» مقالاً خاصاً بهذه المناسبة عن السيدة في عدد فبراير شباط سنة ١٩٥٩ صفحة ٩ تحت عنوان «مولد السيدة وأعياد الأمة العربية»، قال:

«طوال ثلاثة أسابيع في الشهر الماضي، كانت حشود من الرجال والنساء والأطفال تتجه إلى حي السيدة، وتظل تلك الحشود الكبيرة ساهرة رغم البرد الشديد حتى الفجر، وسط الأنوار الزاهية ألوف من الناس تستمتع فعلاً بالمولد الكبير لبطلة كربلاء.. زينب أخت شهيد الإسلام الخالد الحسين بن علي عليهما السلام.

وفي السرادقات، والمقاهي المتنقلة، وحول السيرك والملاهي، ترتفع دقات الدفوف ونغمات الربابة، وإيقاع

الطبول، وأصوات المطربين والمنشدين، وتهتز القلوب وتمتلىء بالبهجة العريضة. . وترتفع الأصوات من حناجر الألوف ممتلئة بالحب الحقيقي تنادي: «يا رئيسة الديوان». . !

إن السيدة زينب «رئيسة الديوان» رمز لشيء عميق الدلالة، إنها المرأة الباسلة الشجاعة التي ظلت تضمد جراح الرجال في معركة كربلاء من أبناء بيت الرسول ﷺ وأتباع الحسين عليه السلام، حتى سقطوا جميعاً صرعى بين يديها.

لم يرهبها جنود «يزيد بن معاوية» الأنذال السفاحون، الذين اقتلع حكم يزيد الباطش المطلق من نفوسهم آخر خيط يربطهم بالإنسانية. . فكانوا يقطعون بسيوفهم رقاب الأطفال أمام السيدة زينب عليها السلام، ورأتهم يبقرون بطن غلام من أبناء الحسين عليه السلام، فلم يزدها ذلك إلا بسالة وتماسكاً ورغبة في النصر.

ورأت أخاها العظيم الباسل «الحسين بن علي عليه السلام» وقد وقف بمفرده أمام جنود يزيد وهو يرفض التسليم وراح يقاتلهم بعد أن استشهد كل أتباعه وأهله. . ما عدا ولده زين العابدين عليه السلام الذي كان مريضاً، ونائماً في حضن عمته «زينب» فتركوه ظناً منهم أنه سيلفظ أنفاسه

الأخيرة من المرض.. لكنه عاش.. وكان شوكة في جنب الدولة الأموية، تلك الدولة التي أقامها معاوية بالدس والشر، والتنكر لأعظم مبادىء الإنسانية في ذلك الزمان.. لرسالة محمد رسول الله ﷺ.

واندفعت زينب عليها السلام من خبائها نحو أخيها.. حاسرة الرأس ملتاعة، وزعقت بكل قواها.. واحسيناه.. ثم سقطت مغمى عليها من الحزن العميق..

كانت ترى في نهاية الحسين عليه السلام، انهياراً لبناء هائل كبير أقامه جدها النبي عليه السلام في طول الأرض وعرضها، ليخلص البشرية من انحطاطها واندفاعها نحو الفوضى والشر!.

ومع ذلك.. فإن مصرع الحسين عليه السلام كان نذيراً لدولة معاوية الأفاق، وانهارت الدولة بعد ذلك بنصف قرن وسط أفراح الشعب.

ظل الشعب العربي يلعن يزيد بن معاوية وخلفاءه حتى سقطوا بل إن الشعب العربي انتقم من قادة الجيش الأمويين شر انتقام، فلقي أكثرهم مصرعه بعد أن استشهد الحسين عليه السلام على أيديهم وهو الإمام والقائد والزعيم السياسي المثالي لأمة العرب في ذلك الحين، والرجل الذي قام برحلته الدامية إلى العراق، وهو يعلم

أن ألوف الجنود المرتزقة من جيش يزيد، سوف تلحق به وتحول بينه وبين الاتصال بالشعب.

وكان الحسين يعلم أنه سيستشهد لا محالة، هو وأهل بيته، لكنه مضى في طريقه دون خوف أو تردد، وتلك صفات الزعماء الحقيقيين للشعوب.

طلبوا منه أن يسلم نفسه فأبى.. طلبوا منه البيعة ليزيد، فرفض أن يبايع شاباً فاسداً شريراً، لا يصلح أن يقود أمة حديثة في طريقها الطويل.

وامتشق سيفه، وظل يقاتل جنود الشيطان يزيد، خليفة المسلمين الذي فرضه أبوه معاوية فرضاً على الأمة العربية..

ولم يكن معه سوى العشرات من الرجال والنساء والأطفال، كل جيشه كان يمكن لفصيلة من الجنود سحقها في لحظات.. لكن الجيش الصغير صمد أياماً طويلة وقاتل بقيادة الحسين عليه السلام ببسالة عجيبة مذهلة، لم يشهد تاريخ الشرق أو الغرب مثيلاً لها.

كان الحسين عليه السلام عطشان جائعاً.. ورجاله يفتك بهم الظمأ مثله، وأطفاله يصرخون في طلب جرعة ماء.. كان الحصار من حوله في كربلاء محكماً جداً، ألوف من جنود الشيطان يمنعون عنه وعن عياله الماء..!

ومع ذلك قاتل وصمد ولم يترك سيفه ورمحه إلا بعد أن تمزق جسده بعديد من السيوف والحراب.

وخلال ذلك كله.. خلال أعظم معركة في سبيل العقيدة، شهدها التاريخ القديم، لأمة العرب، برزت شخصية السيدة زينب عليها السلام «رئيسة الديوان» كما نسميها نحن أبناء مصر.. بطلة باسلة مؤمنة شجاعة.. حتى إن يزيد بن معاوية الأفاق، لم يجرؤ على مناقشتها عندما ساقوها إليه، ورفضت أن تبايعه، ولعنته، كما لعنت كل الذين يغدرون ويطعنون المؤمنين في ظهورهم!

ومن أجل ذلك نحن في مصر وفي كل الوطن العربي، نؤمن ببطولة السيدة زينب عليها السلام، كما نؤمن بذلك البطل الخالد «الحسين بن علي» أبي الشهداء جميعاً.. نؤمن بأمثال هؤلاء العظام ونحتفل بمولدهم، ونرقص ونغني ونطرب، وننشد الأغاني حول أضرحتهم، وذلك لأننا نحبهم ولا أحد يستطيع أن يزيل من قلوبنا الحب الصادق لرائد البطولة الخارقة..

وقد نحيا ونمتلىء بالأمل فنعمل ونكافح لأن مثل هذا الرمز يضيء لنا الطريق، ويشحننا بالرغبات الطيبة والإيمان بالشرف.

ونحن لا نبالغ إذا اعتبرنا مولد السيدة زينب عليها السلام

ومولد الحسين عليه السلام من الأعياد القومية لأمة العرب.

وصدق الكاتب «أن السيدة زينب عليها السلام رمز لشيء عميق الدلالة» ولكن من أي نوع هذا الشيء العميق؟ وهل كشف عنه الباحثون والمؤرخون؟

لقد تكلم العلماء والأدباء قديماً وحديثاً حول شخصية السيدة، واتفقوا على بسالتها وعلمها وقوة صبرها وإيمانها وعقلها، وعلى عظمة الدور الذي قامت به في كربلاء. وحاول كثيرون أن يشرحوا هذا الدور، ويفسروا لنا وللأجيال السر الكامن في ذهابها مع أخيها إلى كربلاء. ورأى بعضهم أن الغاية من وجودها مع أخيها أن تبث دعوة الحق، وتعلن سر نهضة الحسين عليه السلام، وتبلغ حجته للملأ، وتبين مساوىء الأمويين، وتؤلب الناس على الطغاة البغاة بالمواعظ والخطب، كما فعلت في الكوفة والشام، وفي الطريق إليهما منتهزة الفرص، لإنجاز مهمة أخيها سيد الشهداء.

وليس من شك أنها أدت هذه المهمة على أكمل وجه بخاصة في مجلس يزيد وابن مرجانة، فلقد عرفت كلاً منهما بمكانة من الخزي والعار، وفضحتهما لدى الإشهاد، ولعنتهما كما لعنت كل الذين يغدرون ويفجرون؛ وقد ذكرنا ذلك في غير مكان من هذا

الكتاب بعنوان: «خروج الحسين بأهله إلى كربلاء» ولكن هل هذا وحده هو الشيء العميق الذي ترمز إليه السيدة زينب عليها السلام؟ كلا، فإن معه شيئاً آخر أعمق وأبعد من هذا بكثير، إنه الاحتفاظ بالدين، والإبقاء على شريعة سيد المرسلين، إن هذا الشيء العميق يعود إلى أبيها أمير المؤمنين عليه السلام، وعلومه التي تلقاها عن أخيه وابن عمه خاتم الرسل وجد السيدة زينب، وإليك القصة من أولها:

قال الشيخ محمود أبو رية خريج الأزهر في كتاب «أضواء على السنَّة المحمدية» صفحة ٢٠٤ طبعة ١٩٥٨:

«ولد علي قبل البعثة بنحو عشر سنين، وتربى في حجر النبي عليه السلام وعاش تحت كنفه قبل البعثة، وظل معه إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، ولم يفارقه أبداً لا في سفر ولا في حضر - وهو ابن عمه، وزوج ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام - وشهد المشاهد كلها سوى تبوك، فقد استخلفه النبي صلى الله عليه وآله فيها على المدينة، فقال: يا رسول الله، أتخلفني في النساء والصبيان؟! فقال الرسول: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي (رواه الشيخان) أي البخاري ومسلم.

ولما قال معاوية لسعد بن أبي وقاص ما يمنعك أن

تسب أبا تراب؟ قال له: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله، لأن تكون واحدة لي منهن أحب إلي من حمر النعم، فلن أسبه، ثم ذكر له هذه الثلاث، وهي حديث أنت مني بمنزلة هارون من موسى، ولأعطين الراية إلى رجل يحبه الله ورسوله، وحديث المباهلة. وقال له النبي «من كنت مولاه فعلي مولاه» وهو حديث متواتر مشهور.

وقال ابن تيمية: علي أفضل أهل البيتعليه السلام، وأفضل بني هاشم بعد النبيصلى الله عليه وسلم، وقد ثبت عن النبيصلى الله عليه وسلم أنه أدار كساه على علي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام، وقال: اللهم هؤلاء أهلي، فأذهب الرجس عنهم وطهرهم تطهيراً صفحة ٢٥٠ ج١ من فتاوى ابن تيمية.

ومغازيه التي شهدها مع رسول الله، وقاتل فيها كانت تسعة: بدر وأحد والخندق وخيبر، وفتح مكة ويوم حنين وغيرها، وثبت في الصحيح أن النبي قال: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه، فأعطاها لعليعليه السلام (ص٣١٠ من الجزء الأول لفتاوى ابن تيمية).

هذا هو علي رضي الله عنه الذي لو كان قد حفظ كل يوم عن النبيصلى الله عليه وسلم، وهو الفطن اللبيب الذكي ربيب

النبي حديثاً واحداً، وقد قضى معه رشيداً أكثر من ثلث قرن، لبلغ ما كان يجب أن يرويه حوالى ١٢ ألف حديث على الأقل، هذا إذا روى حديثاً واحداً في كل يوم، فما بالك لو كان قد روى كل ما سمعه[١] ولقد كان له حق في روايتها ولا يستطيع أحد أن يماري فيها، ولكن لم يصح عنه كما جاء بكتاب الفصل إلا نحو خمسين حديثاً لم يحمل البخاري ومسلم إلا نحو عشرين حديثاً... هذا كلام أبي رية في كتابه «أضواء على السنة المحمدية».

وقال الشيخ محمد أبو زهرة وهو من كبار شيوخ الأزهر، والمؤلفين المعروفين، قال في كتاب «الإمام الصادق» صفحة ١٦٢ مطبعة أحمد علي مخيبر[٢]:

«يجب علينا أن نقرر هنا أن فقه علي عليه السلام وفتاويه وأقضيته لم ترو في كتب السنة.. وكان أكثر الصحابة

---

(١) نعم لقد روى كل ما سمعه من النبي، ولكن لأولاده وذريته، ورواه ذريته للناس على لسان محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام، كما سيتضح ذلك فتابع القراءة لتتأكد من هذه الحقيقة م ج.

(٢) هذا الكتاب أكبر موسوعة علمية عن الإمام الصادق عليه السلام، وبيان عظمته عند الله سبحانه، وسموه في أخلاقه، وخير مصدر للعلماء، ومرشد لمن يجهل مقام الصادق خاصة وأهل البيت عامة.

اتصالاً برسول الله ﷺ، فقد رافق الرسول ﷺ، وهو صبي قبل أن يبعث، واستمر معه إلى أن قبضه الله تعالى رسوله إليه، ولذا كان يجب أن يذكر له في كتب السنة أضعاف ما هو مذكور فيها.

وإذا كان لنا أن نتعرف السبب الذي من أجله اختفى عن جمهور المسلمين بعض مرويات علي وفقهه، فإنَّا نقول: إنه لا بد أن يكون للحكم الأموي أثر في اختفاء كثير من آثار علي في القضاء والإفتاء، لأنه ليس من المعقول أن يلعنوا عليّاً فوق المنابر، وأن يتركوا العلماء يتحدثون بعلمه، وينقلون فتاويه وأقواله للناس، وخصوصاً ما كان يتصل منها بأساس الحكم الإسلامي...

ولكن هل كان اختفاء أكثر آثار علي رضي الله عنه، وعدم شهرتها بين جماهير المسلمين سبيلاً لاندثارها، وذهابها في لجة التاريخ إلى حيث لا يعلم بها أحد..!! إن علياً رضي الله عنه قد استشهد، وقد ترك وراءه من ذريته أبراراً أطهاراً كانوا أئمة في علم الإسلام، وكانوا ممن يقتدى بهم، ترك ولديه من فاطمة الحسن والحسين، وترك رواد الفكر محمد بن الحنفية، فأودعهم عنه ذلك العلم، وقد قال ابن عباس: إنه ما انتفع بكلام

بعد كلام رسول الله ﷺ كما انتفع بكلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقام أولئك الأبناء بالمحافظة على تراث أبيهم الفكري، وهو إمام الهدى، فحفظوه من الضياع، وقد انتقل معهم إلى المدينة لما انتقلوا إليها بعد استشهاده رضي الله عنه برسول الله ﷺ وبذلك تنتهي إلى أن البيت العلوي فيه علم الرواية كاملة عن علي رضي الله عنه، رووا عنه ما رواه عن الرسول كاملاً، أو قريباً من الكمال، واستكنوا بهذا العلم المشرق في كن من البيت الكريم».

وإذا عطفت هذا القول للشيخ أبي زهرة على قول الشيخ أبي رية السابق، فإنك واصل حتماً إلى اليقين بأن علم محمد ﷺ عند علي عليه السلام، وعلم علي عليه السلام عند أبنائه، وهم الذين نشروه وأذاعوه على الناس.

نقلنا أقوال هذين الشيخين الجليلين من شيوخ الأزهر باللفظ لا بالمعنى، نقلناهما بالحرف الواحد مع أرقام الصفحات وهي تقدم الأدلة على حقيقة لا ترد ولا تقبل التشكيك.

علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لازم النبي منذ طفولته إلى آخر يوم من أيام الرسول ﷺ لا يروى عنه إلا خمسون حديثاً!!... علي الذي تربى في حجر

الرسولﷺ، وكان منه بالمنزلة الخصيصة، يتبعه اتباع الفصيل اثر أمه، ويرفع له كل يوم نميراً من علمه وأخلاقه لا يروي عن النبيﷺ إلا خمسين حديثاً، وأبو هريرة الذي لم يصحب النبي إلا نحو ثلاث سنوات، لا يراه فيها إلا قليلاً، والحين بعد الحين، يروى عنه ٥٣٧٤ حديثاً!.. ولو أخذنا بهذا القياس لوجب أن يروي الإمام ١٨٢١٦ حديثاً، لأنه لازم النبي رشيداً أكثر من ثلث قرن.

ومن هنا تعلم أن السر الوحيد لقلة الرواية عن الإمام عليعليه السلام هو ما أشار إليه الشيخ أبو زهرة، هو عداء الأمويين وموقفهم من الإمام، وممن يذكره بخير، فقد عاقبوا من يروي منقبة من مناقبه، أو ينقل حديثاً عنه، وتتبعوا تلاميذه وخاصته في كل مكان، كميثم الثمار وعمر بن الحمق ورشيد الهجري وحجر بن عدي وكميل بن زناد وغيرهم وغيرهم، وقتلوهم الواحد بعد الآخر، ونكلوا بهم شر تنكيل، كي لا يتسرب عن طريقهم أثر من آثار عليعليه السلام.

أجل، لقد بذل الأمويون أقصى الجهود، واستعملوا التقتيل والتنكيل، وسلكوا جميع السبل، ليقضوا القضاء الأخير على كل أثر يتصل بعلي من قريب أو بعيد إلا

السب واللعن، إن الأمويين يعلمون حق العلم أن علياً أخو رسول الله ﷺ ووصيه ووارث علمه وأمينه على شرعه وحجته البالغة على الناس أجمعين، ويعلم الأمويون أيضاً أنهم ملعونون في كتاب الله وعلى لسان نبيه، فالإمساك عن علي عليه السلام وآثاره معناه القضاء على حكمهم، لأن آثار علي عليه السلام هي آثار محمد ﷺ الذي نص على أن الخلافة محرمة على الأمويين، لذا لعنوا الإمام على المنابر، وقتلوا خاصته، كي لا يرووا شيئاً عنه، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره؛ فلقد أودع الإمام علوم الرسول ﷺ ذريته وأولاده، كما قال الشيخ أبو زهرة، ووصلت إلينا عن طريق آله وذريته.

ولم تخف هذه الحقيقة على الأمويين، فحاولوا القضاء على ذرية علي عليه السلام، وأن لا يبقوا من نسله حياً، ليمحوا كل أثر له من الوجود، وأصدق شاهد على ذلك قول شمر بن ذي الجوشن: «قد صدر أمر الأمير عبيد اللّه أن أقتل جميع أولاد الحسين» قال هذا حين شهر سيفه ليقتل الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد دفعه عنه حميد بن مسلم وعمر بن سعد، وقالت عمته الحوراء لما همّ بقتله: والله لا يقتل حتى أقتل وفي هذا نجد التفسير الصحيح لقتل الطفل الرضيع وغيره من أولاد أهل البيت عليهم السلام.

قتل الأمويّون سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام، وقتلوا أبناء الحسين عليه السلام، ولم ينج منهم إلا الإمام زين العابدين عليه السلام، والفضل الأول في نجاته من القتل للسيدة زينب عليها السلام، دفعت عنه شمراً في كربلاء، وابن زياد في الكوفة، حيث أمر بقتله، فتعلقت به السيدة، واعتنقته قائلة: والله لا أفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه، فنظر ابن مرجانة إليهما ساعة، ثم قال: «عجباً للرحم!.. والله إني لأظنها ودت أني قتلتها معه، دعوه، فإني أراه لما به» أي يراه مريضاً.

كلا، ليست المسألة مسألة رحم، وكفى، ولا مسألة حب وعطف فقط، إنها أعمق وأبعد من ذلك التفكير، إنها الخوف على دين الله وعلوم رسول الله من الضياع، لقد استماتت السيدة دون الإمام زين العابدين عليه السلام، لأنه حلقة الاتصال بين الحسين عليه السلام وبين الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام اللذين أشاعا وأذاعا علوم محمد عليه السلام وعلي عليه السلام.

كان علم الرسول عليه السلام عند علي عليه السلام، وعلم علي عليه السلام عند ولديه الحسن والحسين عليهما السلام، وعلم الحسين عليه السلام عند زين العابدين عليه السلام، ومنه إلى ولده الباقر عليه السلام وحفيده الصادق عليه السلام، وهكذا انتقلت علوم الرسول صلى الله عليه وآله من إمام

إلى إمام حتى ذهب الأمويون، وزال حكمهم، ولم يبق له عين ولا أثر في عهد الصادقين حيث انتشرت علومهما في كل مكان، ولم يكن من سبيل إلى بث هذه العلوم في عهد الأمويين، ويؤكد هذه الحقيقة أن الحسين عليه السلام لما توجه إلى العراق دفع إلى أم سلمة الوصية والكتب، وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي، فادفعيها إليه، وبعد أن قتل الحسين عليه السلام أتى زين العابدين عليه السلام إلى أم سلمة، فدفعت إليه كل شيء أعطاها الحسين عليه السلام.

فالإمام زين العابدين عليه السلام هو حلقة الاتصال بين أبيه وجده وبين ولديه الصادقين، ولو فقدت هذه الحلقة لم يكن لعلوم علي خبر ولا أثر، ولخسر الدين والإسلام أعظم ثماره وأثمن كنوزه، ولهذا وقفت السيدة موقفها مع الذين حاولوا قتل الإمام زين العابدين عليه السلام، وكان لها أكرم يد وأفضلها رمزاً لشيء عميق الدلالة كما قال محرر مجلة «الغد» ولكنه لم يدرك نوع هذا السر على حقيقته، وكفاه معرفة أن يدرك، ولو على سبيل الإجمال، أن السيدة زينب رمز لشيء عميق الدلالة.

وقد يتساءل: إذا كانت الغاية الأولى والأخيرة هي المحافظة على الإمام زين العابدين لماذا صحبه

الحسين عليه السلام معه إلى كربلاء؟ ولماذا لم يبقه في حرم جده الرسول؟. .

والجواب ان المدينة كانت تحت سيطرة الأمويين، وكان فيها مروان بن الحكم الذي أشار على الوليد بقتل الحسين عليه السلام، فكيف يأمن الحسين عليه السلام على أهله، وهم بين أيدي الطغاة، وفي حكم أشد الناس لؤماً وعداءً للحسين عليه السلام ولكل من يمت إليه بسبب أو نسب.

وقد أسلفنا أن الأمويين أصدروا أمرهم بقتل أولاد الحسين عليه السلام حتى الطفل الرضيع، فهل يعفون ويصفحون عن خليفته وأكبر أولاده ووارث علمه؟! وهل للأمويين هدف من قتل الحسين عليه السلام وأولاده وأصحاب أبيه وأصحابه إلا القضاء على كل أثر لأبي الحسين وجد الحسين؟!

ومرة ثانية نقول مع محرر المجلة: «إن السيدة زينب رمز لشيء عميق الدلالة». إنها لكلمة بالغة، ما أنطق بها الكاتب إلا الحق، وإلا عظمة السيدة، إنها لكلمة تحمل من المعاني ما تضيق عنها المجلدات؛ وكل مآثر أهل البيت الطاهر لا تتسع لها الكتب والأسفار.

الإمام الصادق عليه السلام

في هذه السنة ١٣٨٠هـ ظهر في الرياض عاصمة المملكة السعودية مجلة تحمل اسم «راية الإسلام»، وصاحب الامتياز اسمه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، ورئيس التحرير الشيخ صالح بن محمد بن لحيدان، والمدير الشيخ علي بن حمد الصالحي[1] «ثلاثة ليس لهم شبيه» باعوا أنفسهم للشيطان، وقبضوا الثمن كاملاً، فجرى منهم مجرى الدم في العروق، وما خالفوا له قولاً، ولا عصوا له أمراً حتى أصاب منهم كل ما يبتغي، وحتى أصبحوا له نصيباً مفروضاً، وأطوع له من بنانه، يديره كيف شاء، ومتى أراد، فإذا تكلموا فبلسانه، وإذا كتبوا فبقلمه، وإذا فكروا فبوحي منه يفكرون، وإذا فعلوا فبأمره يعملون.

---

(١) كان من نتيجة الردود والاحتجاجات التي قام بها علماء جبل عامل وأهل القطيف والبحرين أن طرد المسؤولون في السعودية الشيخ الصالحي من إدارة المجلة.

وفي ربيع الآخر سنة ١٣٨٠ هـ صدرت الأوامر لهؤلاء «الثلاثة» من سيدهم «أبي مرة» أن يكتبوا في مجلته «راية الشيطان» مقالاً وضع لهم تصاميمه، ورسم معالمه، ثم أوحى إليهم أن يقيموا عليها أركانه وبنيانه، فنشروا مقالاً في العدد الخامس بعنوان «خطاب موجه لشيخ الجامع الأزهر»، وقعوه باسم «إبراهيم الجبهان» وهذه هي الأسس التي أوحى بها إبليس إلى شيوخه، واحتواها مقال آله ورجاله.

١ ـ التهجم على شيخ الأزهر بألفاظ السفاهة والجهالة، لأنه يناصر دعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وهذه الدعوة ترضي الله الذي قال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾، وتغضب سيدهم إبليس الذي يفرق بين المرء وزوجه، ويبث التعصب والشقاق بين العباد.

٢ ـ نعتُ الإمام الصادق عليه السلام بما يهتز له العرش، ويقوم له الكون بما فيه، افتروا على عظمته لا لشيء إلا لأنه إمام العلم والدين، وقائد الخير والحق، وحرب على الشرك والمشركين، وعز للإسلام والمسلمين، وإلا لأنه مهجة الرسول صلى الله عليه وآله الناطق بلسانه والحافظ لشريعته وتعاليمه.

٣ ـ تكفير الشيعة بعامة، والإمامية منهم بخاصة،

والتحريض على قتلهم وإبادتهم، لأنهم يعبدون الله مخلصين له الدين، لا يوالون فاجراً، ولا يهادنون جائراً، ولا يساومون مستعمراً.

هي هي الأسس التي رسمها الشيطان لشيوخه، وبنوا عليها بنيانه في مجلته، فتصدى لهم علماء جبل عامل في لبنان الذين كانوا وما زالوا الركن الركين للإسلام، والحصن للتشيع ومبادىء أهل البيت الكرام، فاحتجوا لدى المسؤولين في السعودية، وفي سفارتها ببيروت، ونشروا الردود في المجلات والجرائد، كما قام أهل القطيف والبحرين بواجبهم في هذه السبيل، وهدموا ما بناه شيوخ مجلة الشيطان، ونقضوا ما دبروا، وعليه تآمروا، حتى اضطروهم مرغمين إلى أن يكتبوا في العدد السابع من هذه المجلة مقالاً ضافياً عن الإمام الصادق عليه السلام وعظمته عند الله والناس، فأقروا بالحق بعد أن جحدوا، واكذبوا أنفسهم بأنفسهم. ومما جاء في المقال المذكور:

«نحن الآن بصدد علم من أعلام الإسلام، وسيد من سادات المسلمين، لم يكن أميراً ولا ملكاً، ولم يكن قائداً ولا خليفة، ولكنه أسمى من ذلك وأجل، إنه عالم من خيار علماء المسلمين، وخيرة بني هاشم، إنه

من سلالة آل بيت الرسول ﷺ الذين نكن لهم كل حب واحترام، والذين لا يحصل إيمان أحد إلا وقلبه عامر بحب رسول الله وآله، فآل البيت عند أهل السنة مكرمون محترمون معترف لهم فضلهم وقربهم من الرسول ﷺ، وحبهم دين وصلاح، والترضي عنهم مبدأ يسير المسلمون عليه، وصاحبنا من أفضل أهل البيت عليهم السلام، ولم يأت بعده أفضل ولا أتقى منه، فهو الإمام الذي اتفق المسلمون على اختلاف طوائفهم وتعدد مذاهبهم على إمامته وورعه وتقواه، وأثنوا عليه ومدحوه، لفضله وزهده وعلمه وقرابته من رسول الله ﷺ . . . ونشر العلم، وأخذ عنه خلق كثير، وروى عنه سادة الأمة وخيارها أمثال سفيان الثوري، وابن عينية وسلمان ابن بلال والدراوردي وابن حازم وأبو حنيفة ومالك. . . وقال أبو حاتم: لا يسأل عن مثله. وقال عمر بن المقداد: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين، وأثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية(١) في منهاج السنة، وقال عنه: إنه من خيار أهل الفضل والدين، وأشاد بفضله. وقال السخاوي: كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً وجوداً، يصلح

(١) ابن تيمية الحجة الكبرى والقدوة العظمى عند الوهابيين.

للخلافة بسؤدده وفضله وعلمه وشرفه. . .٠وقال عنه أبو حنيفة: ما رأيت أفقه منه. وقال عنه مالك: اختلفت إليه زماناً، فما كنت أراه إلا مصلياً أو صائماً، وما رأيته يحدث إلا على طهارة».

هذا ما قالته المجلة في عددها السابع بعد أن نشرت ما نشرته في العدد الخامس، وهكذا أنكر أبو سفيان نبوة محمد، وقاد الجيوش لحربه في بدر وأُحد والخندق، ثم آمن به حين جاء نصر الله والفتح!. .

كتبت رداً على مجلة الشيوخ الثلاثة نشرته العرفان في عدد تشرين الثاني سنة ١٩٦٠، ثم نشر في كراسة مستقلة.

ورغب إليّ بعض الإخوان الأفاضل أن أكتب كلمة حول كتاب جديد، اسمه «الإمام الصادق» لفضيلة الأستاذ العالم الشيخ محمد «أبو زهرة»، وفي نفس الوقت طلب مني الأستاذ نزار الزين أن أكتب للعرفان مقالاً مستقلاً عن الإمام الصادقعليه السلام، لا أتعرض فيه لكتاب أبي زهرة، لا تأييداً ولا تفنيداً، وحجته في تبرير هذه الشرط أن يعرف أصحاب مجلة الشيطان على أية عظمة تجرأوا، ومن أية قداسة نالوا، فيأتي المقال رداً ضمنياً بعد الرد الصريح.

وما دامت هذه هي الغاية الأولى والأخيرة من هذا المقال[1] فإني أنقل للقراء ما ذكره الشيخ أبو زهرة من النعوت والأوصاف التي وصف بها الإمام الصادق في كتابه المذكور، هذا مع العلم بأن صاحب الكتاب أزهري، بل من شيوخ الأزهر الكبار، والمؤلفين المكثرين، والباحثين المعروفين، وقد بلغت صفحات الكتاب ٥٦٨ بالقطع الكبير، وكلها أو جلها أرقام وشواهد على إمامة الصادق في الدين والعلوم، وعلو منزلته في الفضائل ومكارم الأخلاق كاملة دون استثناء.

وقد اقتبست من مجموع صفحات الكتاب وسطوره كلمتي التالية مشيراً في آخرها إلى بعض الملاحظات. وسلفاً أقول: إنها لم تف بالغاية من عظمة الإمام الصادق التي صورها الشيخ في كتابه، فلقد أبرز من

---

(١) لم يكن من قصدي إدراج هذا المقال هنا، بل كان العزم على نشره في العرفان، وكفى، ولكن رغب إلي أكثر من واحد أن أنشره في كراسة على حدة، وجاءتني رسائل بذلك من بعض الإخوان في البحرين بعد أن علموا به، فرأيت أن أنشره هنا وفي العرفان، لأن رسالتي أن تعم مناقب الآل الكرام كل مكان وزمان، وأن تتردد على كل لسان، وفي كل صحيفة وكتاب، هذا بالإضافة إلى أني عرفت كتابي هذا في المقدمة «بأن فيه ذكراً لآل الرسول، ولا شيء أكثر من ذلك».

شخصية الإمام ما لا يفي به إلا كتاب ضخم في حجم كتابه الحافل، وليس من شك أن إيمانه بقوى شخصية الإمام وغزارتها قد أسعفاه وأمداه بتلك الصفحات الطوال، وعكساً في نفسه وعقله سطورها وكلماتها.

استمع إلى المؤلف، وهو يقول في أول صفحة من مقدمة الكتاب: كتبنا عن سبعة من الأئمة الكرام، وتأخرنا في الكتابة عن الإمام الصادق عليه السلام تهيّباً لمقامه.

ثم إن الشيخ الفاضل يوافق الإمامية الاثني عشرية عن علم وإيمان بكل ما يعتقدونه بالإمام الصادق عليه السلام، ولا يخالفهم إلا في أمرين: الأول في وجوب العصمة له، والثاني في أنه إمام سياسي، كما أنه إمام ديني بالنص من إمام عن إمام إلى أن ينتهي النص إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. إن الشيخ أبا زهرة يعتقد بإمامة الصادق عليه السلام في الدين والعلوم، وأنه الفصل والفارق بين الحق والباطل، كما جاء في ص ١٨٤، ولكنه يختلف عن الإمامية بالاتجاه، وقد بين ذلك صراحة في ص ٧٤ حيث قال ما نصه بالحرف الواحد:

«ندرس الإمام الصادق بنظرنا وتفكيرنا وباتجاهنا، ولسنا بصدد تقرير ما يراه الذين حملوا اسم الجعفرية فقط، ولا ضير في أن يختلف نظرنا إلى الإمام عن

نظرهم ما دامت النتيجة هي بيان شأن الإمام، وبيان علو قدره، وقد أعلوه بنظرهم، ونعليه بنظرنا، والغاية واحدة، وحسبه شرفاً أنه يصل إلى أعلى مراتب الرفعة باتجاهنا واتجاههم، ونظرنا ونظرهم».

والآن، وبعد هذا التمهيد تعالوا معي لنرى إلى هذه الشرارة من القبس الذي أتانا به فضيلة المؤلف من نور الإمام الصادق عليه السلام وهديه:

نسبه:

ينتهي نسبه إلى سيف الله المسلول، وفارس الإسلام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد نال فوق هذا كله أكبر شرف في الإسلام بعد العمل الصالح، وهو من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الطاهرة.

وصفه الجسمي:

كان ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، أبيض الوجه أزهر، له لمعان كأنه سراج، أسود الشعر أجعده، أشم الأنف، وقد انحسر الشعر عن جبينه فبدا مزهراً، على خده خال أسود، ولما تقدم في السن زاده الشيب بهاء ووقاراً وجلالاً وهيبة.

تسميته بالصادق:

قال ابن خلكان في كتاب وفيات الأعيان: «لقب بالصادق لصدق مقالته». وقال أبو زهرة: ومن يكون أصدق قولاً ممن لقبه الخصوم والأولياء والتاريخ كله بالصادق، وهو الإمام أبو عبد اللّه رضي الله تعالى عنه وعن آبائه الأكرمين الأبرار الأطهار. ومن الأئمة من اختلف فيه الناس بين موال غالى في ولايته، وخصم غالى في خصومته، والإمام الصادق عليه السلام أجمع العلماء على فضله، وإذا غالى كثيرون في محبته، فإنه لم يكن العكس بالنسبة إلى الإمام الصادق عليه السلام، حيث لم يغال في عداوته أحد، بل لم يعاده أحد.

صفاته النفسية:

أما صفاته النفسية والعقلية فقد علا بها على أهل الأرض، وأنَّى لأهل الأرض أن يسامتوا أهل السماء؟! سمو في الغاية، وتجرد في الحق، ورياضة للنفس، وانصراف إلى العلم والعبادة، وابتعاد عن الدنيا ومآربها، وبصيرة تبدد الظلمات، وإخلاص لا يفوقه إخلاص، لأنه من معدنه، من شجرة النبوة، وإذا لم يكن الإخلاص في عترة النبي، وأحفاد علي ففيمن يكون؟! فلقد توارث أحفاد علي الإخلاص خلفاً عن

سلف، وفرعاً من أصل، فكانوا يحبون لله، ويبغضون لله ويعتبرون ذلك من أصول الإيمان وظواهر اليقين.

والصادق مصداق لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] وهو من أولياء الله الذين قال فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢] وهو من الذين عناهم جده الرسول ﷺ بقوله: «إن الله يحب ذا البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب ذا العقل الكامل عند حلول المشكلات» ومن غير الصادق يبدد الشبهات بعقله النير، وبصيرته الهادية المرشدة؟!

وكان علي بن أبي طالب عليه السلام من أسخى الصحابة، بل من أسخى العرب، وقد كان أحفاده كذلك من بعده، فزين العابدين كان يحمل الطعام ليلاً ليوزعه على بيوت ما عرفت خصاصتها إلا من بعده، فلم يكن غريباً أن يكون الإمام الصادق النابت في ذلك البيت الكريم سخياً جواداً، فقد يعطي حتى لا يبقى لعياله شيئاً.

وكان حليماً لا يقابل الإساءة بمثلها، بل يقابلها بالتي هي أحسن عملاً بقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمن: ٩٦].

أما الشجاعة فقد كانت ملازمة لذرية علي عليه السلام،

وهي فيهم كالجبلة، لا يهابون الموت، وبخاصة من يكونون في مثل حال أبي عبد اللّه الصادق الذي عمر الإيمان قلبه، وانصرف عن الأهواء والشهوات، واستولى عليه خوف الله تعالى وحده، ومن عمر قلبه بالإيمان لا يخاف أحداً إلا الله.

وكان ذا فراسة قوية جعلته ذا إحساس قوي يدرك به مغبة الأمور، والفراسة من أخلاق المؤمنين، كما أن الله سبحانه قد أضفى عليه جلالاً ونوراً من نوره، وذلك لكثرة عبادته وصمته عن اللغو، وقد راع أبا حنيفة منظر الإمام الصادق، واعتراه من الهيبة له ما لم يعتره من الهيبة للمنصور صاحب الطول والحول والقوة، والتقى به ابن أبي العوجاء، وهو من دعاة الزنادقة فارتاع، ولم يحر جواباً، فتعجب الصادق من أمره، وقال له: ما لك؟!.. فقال: ما ينطق لساني بين يديك، فإني شاهدت العلماء، وناظرت المتكلمين، فما داخلني قط مثل ما داخلني من هيبتك!..

هذه بعض صفاته النفسية، وببعضها يعلو على الرجال، ويرتفع إلى أعلى المراتب، فكيف وقد تحلى بهذه الصفات وغيرها؟!..

علومه:

انصرف الإمام الصادق عليه السلام بكله إلى العلم، فلم يشغل نفسه بشيء سواه، وكان مخلصاً لله في إحياء العلم ونشره، يرشد الضال، ويهدي إلى الحق، ويرد الشبهات، ويدفع الزيغ، ويعمل على تنقية عقائد المسلمين مما اعترى بعضها من الانحراف، ويبث روح التسامح، ويمنع الطائفية، فكان بذلك الإمام الصادق عليه السلام حقاً، وحفيد الإمام علي عليه السلام، وسيد العترة الطاهرة.

وكان يدرس علم الكون، وما اشتمل عليه، ومن تلاميذه الكيميائي الشهير جابر بن حيان، تلقى عنده علم الكيمياء، ووضع فيه رسائل، طبع منها خمسمائة رسالة في ألمانيا قبل ثلاثمائة سنة، وهي موجودة في مكتبة الدولة ببرلين، وفي مكتبة باريس؛ ومما قاله الأستاذ أبو زهرة في ص١٠١ وما بعدها:

«إن الإمام جعفراً كان قوة فكرية في هذا العصر، فلم يكتف بالدراسات الإسلامية، وعلوم القرآن والسنة والعقيدة، بل اتجه إلى دراسة الكون وأسراره، ثم حلق بعقله الجبار في سماء الأفلاك ومدارات الشمس والقمر والنجوم، وبذلك علم مقدار نعمة الله على عبيده. وقد

عني عناية كبرى بدراسة النفس الإنسانية، وإذا كان التاريخ يقرر أن سقراط قد أنزل الفلسفة من السماء إلى الإنسان، فإن الإمام الصادق عليه السلام قد درس السماء والأرض والإنسان وشرائع الأديان».

وكان في علم الإسلام كله الإمام الذي يرجع إليه، وله في الفقه القدح المعلي، فهو أعلم الناس باختلاف الفقهاء، يعلم الفقه العراقي ومناهجه، وفقه المدينة وارتباطه بأدلته وآثاره، واعتبره أبو حنيفة أستاذه في الفقه، فقد سئل أبو حنيفة: من أين جاء لك هذا الفقه؟ فقال: «كنت في معدن العلم، ولزمت شيخاً من شيوخه» وهو يقصد بمعدن العلم الإمام الصادق عليه السلام.

وهيأ له أبو حنيفة أربعين مسألة بطلب من المنصور، فأجاب عنها الإمام بما عند العراقيين، وما عند الحجازيين، وما ارتآه الإمام؛ فقال أبو حنيفة: «أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس» وأخذ عنه مالك ويحيى بن سعيد الأنصاري وسفيان الثوري، وغيرهم كثير.

وروى عنه أصحاب السنن: أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارقطني ومسلم، وكثيرون غير هؤلاء من جمهور السنة. وقال الشيخ أبو زهرة: إن العلوم التي أخذها علي عن النبي صلى الله عليه وآله أودعها ذريته،

وهم أذاعوها على الناس حين أتيحت لهم الفرصة.
وهذا عين ما تقوله الإمامية في علوم أهل البيت عليهم السلام دون زيادة، وقد كرروه وأكدوه في كتب العقائد والحديث، والفقه والتفسير، ونظمه أحد شعرائهم:

إذا شئت أن تبغي لنفسك مذهباً
ينجيك يوم البعث من لهب النار
فدع عنك قول الشافعي ومالك
وأحمد والمروي عن كعب أحبار
ووال أناساً نقلهم وحديثهم
روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

وبهذا يتبين معنا أن قول الشيخ في ص٧٠: «إن الإمامية يقولون: إن علم الإمام جعفر إلهامي وليس بكسبي» من سهو القلم، ونسبة بلا مصدر، وإذا كان الإمامية لا ينسبون علم النبي إلى الإلهام بل إلى جبرائيل عن الله جل شأنه؛ فكيف ينسبون علم أبنائه إلى الإلهام؟
إن هناك ملاحظات أخرى على الكتاب:

«منها» ما جاء في ص٣٦ «ان المؤلف لا يستطيع أن يقبل روايات الكليني صاحب الكافي، لأن بعض رواياته لا يقول بصحتها كبار علماء الإثني عشرية، كالمرتضى والطوسي».

ونجيب فضيلة الشيخ بأن التشكيك في بعض روايات الكافي لا يستدعي طرح رواياته كلها. وقد شكك كثير من الحفاظ ببعض الرواة الذين اعتمد عليهم البخاري في صحيحه، ومع ذلك لم يطرح أهل السنة كل ما في البخاري. نقل صاحب كتاب «أضواء على السنة المحمدية» ص٢٧٥ طبعة دار التأليف سنة ١٩٥٨ ان الحفاظ ضعفوا من رجال البخاري ثمانين رجلاً، ومن رجال مسلم مائة وستين، وبالرغم من هذا فهما من الصحاح عند السنة، وإذا جاز لنا أن نطرح جميع روايات الكليني لحديث واحد، أو أحاديث في موضوع من الموضوعات يجوز لنا، والحال هذه، أن نطرح جميع روايات البخاري ومسلم.

هذا، وقد رجح البخاري صدق راوٍ، ورجح مسلم كذبه، كعكرمة مولى ابن عباس[1] ومع ذلك يعتبر أهل السنة كلاً من كتاب البخاري ومسلم صحيحاً، وبديهة أن الشيء الواحد لا يتصف بصفة ونقيضها في آن واحد.

---

(١) جاء في كتب السنة أن عكرمة هذا الذي صدقه البخاري وعمل بحديثه قد ملأ الدنيا كذباً، وأنه كان يرى رأي الخوارج، ويقبل جوائز الأمراء وجاء في كتب السنة أيضاً أن أبا هريرة كذبه علي وعمر وعائشة، ومع ذلك روى عنه البخاري ومسلم.

«ومنها» ما جاء في ص٧٣ «ان النبي ﷺ كان يجتهد، وكان في اجتهاده عرضة للخطأ.. بل ثبت أنه قد أخطأ وعلمه ربه الصواب».

إن خطأ الأنبياء في الأحكام محال بحكم العقل، لأن وقوع الخطأ منهم مناف لحكمة البعثة المقصود منها إرشاد الخلق إلى الحق، أن قول النبي ﷺ دليل قاطع لرفع الخطأ، فإذا أخطأ انتفت عنه صفة الدلالة، وبالتالي تنتفي عنه صفة النبوة والرسالة.

الحسين عليه السلام عمره وأولاده والشهداء من أهله

مولده:

ولد الحسين عليه السلام في شعبان سنة ٣هـ، وولد أخوه الحسن عليه السلام في رمضان سنة ٢هـ، وحين وضعته فاطمة عليها السلام قالت لأبيه: سمهِ. قال: ما كنتُ لأسبق باسمه رسول الله صلى الله عليه وآله. وحين رآه النبي صلى الله عليه وآله قال للإمام: هل سميته؟ فقال: ما كنت لأسبقك باسمه. فقال النبي: وما كنت لأسبق ربي عز وجل. فأوحى الله إليه أن سمه الحسين.

عمره الشريف:

أقام مع جده ست سنوات، ومع أبيه ثلاثين، ومع أخيه الحسن عليه السلام بعد وفاة أبيه عشراً، وبقي بعد أخيه عشراً، فكان عمره الشريف ٥٦، وقيل ٥٧.

أولاده:

له عشرة أولاد ٦ ذكور و ٤ إناث.

١ ـ علي الأكبر، وأمه ليلى بنت أبي مرة الثقفي، وأمها ميمونة بنت أبي سفيان، وأخت معاوية، فعلي الأكبر ابن بنت عمة يزيد، ويزيد ابن خال أم علي الأكبر. وناداه رجل يوم الطف من عسكر ابن سعد، وقال له: إن لك مع يزيد رحماً، فإن شئت أمناك فقال له: ويلك لقرابة رسول الله ﷺ أحق بالرعاية. وقال معاوية يوماً لجلسائه: من أحق الناس بهذا الأمر؟ فقالوا له: أنت. قال: كلا، أولى الناس به علي بن الحسين عليه السلام، جده رسول الله ﷺ، وفيه شجاعة بني هاشم، وسخاء بني أمية، وزهو ثقيف.

٢ ـ علي الأصغر، وهو الإمام زين العابدين عليه السلام، وأمه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد ملك الفرس، ومعنى شاه زنان بالعربية ملكة النساء، ونسل الحسين عليه السلام كله من الإمام زين العابدين عليه السلام.

٣ ـ علي الأوسط.

٤ ـ جعفر، مات في حياة أبيه، ولا بقية له.

٥ ـ محمد.

٦ ـ عبد الله الرضيع الذي جاءه سهم، فذبحه،

وهو في حجر أبيه[1].

الشهداء من أقاربه:

استشهد من أقارب الحسين اثنان من ولده، وهما علي ابنه الأكبر، والطفل الرضيع.

وتسعة من إخوته أبناء علي، وهم العباس، وجعفر، وعثمان وعبد اللّه، ومحمد، وأبو بكر، وعمر[2] وعون، ومحمد الأوسط.

وأربعة من ولد الحسن: وهم القاسم وعبد اللّه، وأبو بكر، وأحمد؛ وسبي مع النساء ثلاثة من ولد الحسن، الحسن بن الحسن المثنى، وعمرو، وزيد؛ وحارب الحسن المثنى مع عمه الحسينعليه السلام حتى قطعت يده وأثخن بالجراح، ولم يقتل.

واستشهد ثلاثة من أولاد زينب بنت أمير المؤمنينعليه السلام، وهم عون، ومحمد، وعبيد اللّه، وأبوهم عبد اللّه بن جعفر.

وواحد من ولد جعفر بن أبي طالب، وهو عون

---

(١) أعيان الشيعة الجزء الرابع سيرة الحسين.

(٢) وأم عمر الصهباء الثعلبية، وهي أم حبيبة، وقد اختلف الرواة فيه، فبعضهم قال: ذهب مع الحسين إلى كربلاء، وبعضهم قال: تخلف، ومات سنة ٧٧ وله أولاد كثيرون.

أخو عبد اللّه بن جعفر.

وثلاثة عشر من ولد عقيل بن أبي طالب، وهم مسلم بن عقيل، وعبد اللّه بن مسلم بن عقيل، ومحمد بن مسلم بن عقيل، ومحمد بن سعيد بن عقيل، وعبد اللّه الأصغر بن عقيل، وعبد اللّه الأكبر بن عقيل، وموسى بن عقيل، وعلي بن عقيل، وأحمد بن عقيل، وجعفر بن عقيل، وعبد الرحمن بن عقيل، وصبيان من ولد عقيل كانا مع السبايا، وهربا من الخوف والذعر، فأتيا دار رجل طائي فلجآ إليه، ولما علم أنهما من سبايا الحسين عليه السلام وبقايا أهل البيت عليهم السلام قتلهما، وجاء برأسيهما إلى ابن زياد يطلب الجائزة فقال له ابن زياد: جائزتك القتل. وأمر به فقتل، فمجموع الذين استشهدوا من نسل أبي طالب ٣٢ ما عدا الحسين عليه السلام.

مطلقة الحسين وزوجة يزيد:

قال في نفس المهموم: إن هند بنت عبد اللّه بن عامر كانت تحت الحسين عليه السلام، فطلقها، وتزوجت يزيد، وحين دخل السبايا على يزيد في الشام حسرت هند عن رأسها، وشقت الثياب، ودخلت على يزيد في مجلسه تندب وتصيح، وقالت: يا يزيد أرأس ابن فاطمة بنت رسول الله مصلوب!..

يزيد

نسبه:

هو يزيد بن معاوية، وينسب معاوية إلى أربعة رجال عمر بن مسافر، وعمارة بن الوليد، والعباس بن عبد المطلب، ورجل أسود يدعى الصباح[(١)]، وكانت هند جدة يزيد مغرمة بحب السود، وما نسب معاوية أحد ممن يعرف حالها إلى أبي سفيان، لأنها وضعته بعد زواجها منه بثلاثة أشهر، وهند هذه هي التي أكلت كبد الحمزة عم الرسول، حتى أصبح لفظ «آكلة الأكباد» علماً لها.

وأم يزيد هي ميسون بنت عبد الرحمن بن بجدل الكلبي، مكنت عبداً لأبيها من نفسها، وحملت بيزيد[(٢)].

---

(١) ذخيرة الدارين نقلاً عن ربيع الأبرار للزمخشري.

(٢) المصدر نفسه.

وجده أبو سفيان أعدى أعداء الله ورسوله، وهو الذي قاد الحرب ضد الإسلام والقرآن في بدر وأحد والأحزاب.

ولادته وشكله:

ولد سنة ٢٥هـ، وكان رفيع الصوت، شديد السمرة، بديناً كثير اللحم كثير الشعر، مجدراً أصيب في صغره بالجدري بقيت آثارها إلى آخر عمره.

مهنته:

عداوة الله ورسوله، وقتل العترة الطاهرة، وسبي الحرائر، وذبح الأطفال، ونكح الأمهات والبنات والأخوات[١] والصيد، وشرب الخمر، واللعب بالكلاب والقرود. قال عبد اللّه بن حنظلة: «والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء. إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت فيه بلاء حسناً».

---

(١) العروبة للخالصي ص٨٦ نقلاً عن رسالة «تجويز لعن يزيد» لابن الجوزي. «وأبو الشهداء» للعقاد ص٦٠ طبعة دار الهلال.

حكمه ومشاريعه:

تولى الحكم بعد أبيه في رجب سنة ٦٠هـ. أما مشاريع دولته. ففي السنة الأولى من حكمه قتل الحسين عليه السلام وأولاده وأصحابه، وسبي نساءه، وفي السنة الثانية أباح مدينة الرسول ﷺ ثلاثة أيام، وقتل من المهاجرين والأنصار والتابعين عشرة آلاف سوى النساء والصبيان. واستحل أعراض النساء حتى ولدت ألف عذراء لا يعرف لمواليدهن أب، وفي هذه الوقعة المعروفة بوقعة الحرة دخل رجل من عسكر يزيد على امرأة نفساء من نساء الأنصار، وفي حجرها طفل رضيع فقال لها: هل من مال؟ قالت: لا والله ما تركوا لنا شيئاً. فقال لها: أعطيني وإلا قتلتك، وهذا الطفل. قالت: إنه ولد ابن أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ. فلم يكترث، وأخذ برجل الصبي، وفمه في ثدي أمه، وجذبه من حجرها، وضرب به الحائط، فانتثر دماغه على الأرض.

وفي السنة الثالثة رمى يزيد الكعبة بالمنجنيق، وقذفها بالحجارة وأحرقها بالنار.

وفاته:

مات سنة ٦٤هـ بذات الجنب «السل» لإدمانه الشراب، وإفراطه في الملذات، بات ذات ليلة سكراناً، فأصبح ميتاً متغيراً كأنه مطلي بالقار. وقيل: طارد غزالاً، فوقع عن الفرس، ودق عنقه. مات في حوارين[١]، ونقل إلى دمشق، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وقبره الآن مزبلة، وفي عهد العباسيين نبش قبره، فوجد فيه خط أسود ممتد من أوله إلى آخره.

قال بعض المؤلفين: لما رأى الشيطان يزيد بن معاوية تعوذ منه، وقال: ما كنت أحسب أن في الكون من هو أشقى مني، حتى رأيت يزيد!.. ولكن يزيد عند مروان بن الحكم يستسقي الغمام بوجهه!.. وفي كل عصر يزيد ومروان، وليس في الدنيا إلا حسين واحد.

ويسوس أمر المسلمين موله
رجس وتصرعه الطلا فيعربد
ويقوم باسم الدين فيهم آمراً
من لم يطب في الناس منه المولد

---

(١) حوارين بلدة بين دمشق وحمص، ولا يزال فيها آثار رومانية تنبىء عن قصر فخم كان يرتاده يزيد، وأهلها إلى الآن يطلقون عليه اسم قصر يزيد.

ومن العجائب أن يسود مذمم
جمّ العيوب وأن ينحّى السيَّد

يزيد والمستعمرون:

اكتشف المستشرقون يزيد بن معاوية، وهم ينقبون عن العورات في تاريخ المسلمين، فطاروا به فرحاً، كأنهم اهتدوا إلى آبار غنية بالبترول.. وأخذوا يمجدونه، ويشيدون بأعماله الإصلاحية، بخاصة الأب لامانس[1] فقد أطنب وأشاد بسمو أفكاره ومشاريعه الإنسانية، وألف فيه وفي أبيه معاوية كتاباً ضخماً قدمه إلى قومه المستعمرين، ليختاروا عملاء من العرب والمسلمين أمثال يزيد ينصبونهم حكاماً على قومهم، وحراساً لمصالح الاستعمار، يمدونهم بالقوة والسلاح، لينكلوا بالمصلحين، ويكيدوا للإسلام، ويعملوا على هدمه، وتقويض شعائره.

---

(١) لامانس مستشرق فرنسي، وهو أصدق مثال للمستشرق الطاعن على الإسلام ورجاله والمبغض للقرآن ومحمد وآله. يقول عن فاطمة سيدة النساء: كانت بنتاً مقلقة مزعجة تثير الشغب والاضطراب. أما معاوية وولده يزيد فمن المصطفين الأخيار، ويا ليت جميع حكام الشرق في صفاتهما وأخلاقهما حتى يطمئن الاستعمار «ولا يبيتن إلا هادىء البال».

مشهد الحسين عليه السلام

كان مصرع الحسين عليه السلام بدء نهاية الحكم الأموي، إذ هو السبب الأكبر لظهور الدعوة إلى آل البيت النبوي، وانتشارها في أرجاء العالم الإسلامي، حتى أسفرت عن زوال تلك الدولة وقيام دولة بني العباس. لأن العرب والمسلمين على السواء اعتبروا هذا الحادث عدواناً أثيماً على بيت النبوة ولذلك أصبح سهل كربلاء بقعة مقدسة، كثرت حولها المؤلفات والأشعار والقصص. ومما رواه الإمام السادس أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن الملائكة حملت تراباً مقدساً من القدس إلى كربلاء قبل ألف سنة ليكون قبراً». وقيل إن الإمام علي رضي الله عنه تحدث عن قداسة المكان فقال: «إن مائتي نبي ومائتي مندوب للأنبياء ومائتين من أبناء الأنبياء يودون أن يدفنوا هنا».

فليس بغريب إذن أن يصبح الموضع الذي دفن فيه جسد سيد الشهداء مزاراً، يحج إليه الناس للتبرك به

(*) مجلة العالم عدد حزيران ١٩٥٩.

وتأدية واجب الاحترام له. واسم كربلاء أطلق أصلاً على القسم الشرقي من حدائق النخل التي تحيط بالبلدة التي نمت وازدهرت بسرعة، إلا أننا نجد لها ذكراً في المراجع التاريخية الأولى. وأول ما قرأنا عنها أن الخليفة العباسي المتوكل أمر ـ عام ٨٥٠ ميلادي ـ بإغراق المنطقة وهدم البيوت والأبنية الموجودة فيها وحرث الأرض كلها، وفرض عقوبات صارمة على الحجاج القادمين إليها كي يمنع زيارتها. لكن البلدة ما لبثت أن عادت للظهور ثانية، واعتقد الشيعة أن المشهد لم يتأثر أبداً بالماء وظل على حاله. وبعد قرن من الزمن كتب ابن حوقل عن المشهد الذي بني فوق ضريح الحسين عليه السلام فوصفه بأنه غرفة واسعة تعلوها قبة، لها باب في كل من جهاتها الأربع. وبعد مائتي سنة (٩٧٩ ـ ٩٨٠) هاجم البلدة فريق من الأعراء جاؤوا من عين التمر وخربوا المشهد وغيره من الأماكن، فصب عليهم بنو بويه ـ وهم شيعيون ـ جام غضبهم وعاقبوهم ومن رافقهم أقسى عقوبة، وأسرع عضد الدولة فأعاد بناء كربلاء وبسط عليها الحماية.

وفي ربيع الأول سنة ٤٠٧ هجرية (١٠١٦ ميلادية) شب حريق في البناء فتهدمت القبة والأروقة واحترقت. وفي سنة ٤١٤ أمر الحسين بن الفضل ببناء سور حول

كربلاء. ومن ذلك الوقت تشابه تاريخ النجف الأشرف وكربلاء إلى حد بعيد، فاحترمها الأتراك الذين احتلوا العراق، وزار ملك شاه سنة ٤٧٩ (١٠٨٦) المشهدين وفرق الصدقات والأموال. ونجت البلدتان من غزو المغول. وفي سنة ١٣٠٣ ميلادية زار الخان غازي كربلاء وحمل معه هدايا غالية الثمن، وشق «أرغون» قناة من نهر الفرات إلى البلدة أطلق عليها فيما بعد اسم نهر الحسينية. وجاء العثمانيون إلى الحكم فحافظوا على المشهدين، وزار سليمان القانوني ضريح الحسينعليه السلام وأمر بتجديد حفر القناة وتوسيعها وزراعة الأراضي المحيطة بالبلدة، وكانت الأوامر تصدر إلى الولاة في بغداد بأن يراعوا كربلاء ويعنوا بأبنيتها. وجدد مراد الرابع سنة ٩٩١ هجرية (١٥٨٣ ميلادية) بناء الضريح والمشهد وما حولهما من الزوايا.

وعادت النجف وكربلاء إلى حكم الشيعة إذ انتزعها «عباس الكبير» من الحكم العثماني، فأعاد بناء المشهدين على الشكل الذي نراه في الوقت الحاضر. وفي سنة ١٧٤٣ ميلادية شيد نادر شاه قبة مشهد الحسين وصادر في الوقت ذاته الأوقاف التي خصص ريعها للأئمة. وتوالت الهدايا من الأمراء والأغنياء الشيعيين من كل مكان. وفي أواخر القرن الثامن عشر زين

مؤسس أسرة قاجار المالكة في إيران القبة والمنارة بالذهب.

ويقع ضريح الحسين عليه السلام في باحة مساحتها ٣٥٤ قدماً = ٢٧٠ قدماً[١] تحيط بها الإيوانات والحجرات، وجدرانها محلاة بحجارة ذات لون أزرق نقشت عليها جميع آيات القرآن الكريم بأحرف بيضاء. ومساحة المشهد ذاته ١٥٦ ـ ١٣٨ قدماً ويتألف من عمارة قائمة الزايا لها قاعة خارجية مذهبة تحف بها ممرات أعدت للطواف. وفي منتصف الغرفة المركزية المقببة توجد «صندوقة الحسين» وحولها مشبكان، الخارجي مصنوع على شكل مشربية من الفضة والداخلي من الذهب. وفي هذين المشبكين يلقي المخلصون هداياهم من النقود والمجوهرات ويفتحان مرة في السنة لجمع هذه الهدايا بحفلة ضخمة. وهناك ضريح ثان دفن فيه علي الأكبر ابن الحسين عليه السلام.

وفي كربلاء مشهد كبير ثان لعباس بن علي، وهو يشبه في نسق بنائه وحجمه وتعدد الأروقة والغرف فيه مشهد الحسين. والفرق الوحيد هو أن للثاني مآذن وللأول مئذنتين، كما أن قبته غير مغطاة بصفائح

---

(١) القدم ثلاثون سنتيمتر ونصف على التقريب.

الذهب. والسبب في ذلك هو أن نادر شاه رأى (وهو يعتزم بناء المشهدين) العباس في منامه، فقال له: «أنا أصغر سناً من الحسين، وما أنا إلا قلامة ظفر لسيدي. ولذلك وجب أن تجعل فرقاً في البناء بين مقام السيد ومقام العبد» ويعتقد الزوار أن النقمة تحل بكل من يحلف كاذباً عند ضريح العباس.

وفرش داخل المشهدين بالسجاجيد العجمية النفيسة، وزين أبدع زينة تثير الإعجاب والروعة، وتصعب على الواصف.

لقد مضى على مصرع سيد الشهداء الحسين بن علي رضي الله عنه ١٣١٧ سنة[١]، وما زال الألوف يزورون مشهده للتبرك به وتقديم واجب الاحترام للمدفون فيه، وتجديد ذكرى الفاجعة التي حدثت في العاشر من شهر المحرم سنة ٦١ هجرية.

---

(١) وضع الشيخ مغنية هذا الكتاب عام ١٣٧٨هـ. (الناشر)



معاوية

حاول بعض الشيوخ أن ينزه معاوية بن أبي سفيان عن الجرائم بل ألف ابن حجر كتاباً للذب عنه، أسماه «تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوة بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان». وقال آخر: قل ما تشاء عن يزيد ولا تزيد.

والحقيقة أن يزيد سيئة من سيئات معاوية، وأن الابن لم يأت بمنكر إلا أتى الأب بما هو أعظم وأخطر، بل إن معاوية أحدث بدعاً لا يعرفها يزيد ولا غير يزيد. وإليك الأرقام.

تأمر يزيد على المسلمين بالقهر والغلبة، وكذلك أبوه معاوية تأمر عليهم من غير مشورتهم، وعلى غير رضا من المهاجرين والأنصار، وحارب يزيد الحسين عليه السلام في كربلاء، وقتله وقتل أصحابه، وحارب معاوية علياً في صفين، وقتل عمَّار بن ياسر الصحابي الجليل، وسمّ الحسن، ومالك الأشتر، وعبد الرحمن

بن خالد بن الوليد، وقتل حجر بن عدي، وأصحابه في مرج عذراء، ومحمد بن أبي بكر، وذبح جيش يزيد بقيادة عمر بن سعد أطفال الحسين عليه السلام، وكذلك ذبح عسكر معاوية بقيادة بسر بن أرطأة القثم وعبد الرحمن طفلي عبيد الله بن العباس في حجر أمهما.

وشرب يزيد الخمر، ولبس الحرير والديباج، وشرب معاوية الخمر أيام حكمه في الشام، ولبس الحرير والديباج، وشرب بآنية الذهب والفضة، وركب السروج المحلّاة بهما، وأباح يزيد مدينة الرسول، وأرسل معاوية بسراً إلى المدينة فأخافها، وقتل منها خلقاً كثيراً (مروج الذهب للمسعودي)، وحين رأى يزيد رأس الحسين عليه السلام فرح واستبشر، وأنشد «ليت أشياخي ببدر شهدوا» وحين جاء نعي الحسن عليه السلام لمعاوية أظهر الفرح والسرور، ورفع صوته بالتكبير.

وتشاء الصدف أن يتم شبه الابن بالأب من جميع الوجوه، ذلك أنه عندما كبَّر معاوية معلناً الابتهاج بموت الحسن عليه السلام سمعته فاختة بنت فرضة بن عمرو بن نوفل، فدخلت عليه، وقالت: ما الذي بلغك فسررت؟ قال موت الحسن. فصاحت، وبكت، وقالت: يموت الحسن سيد المسلمين، وابن رسول الله، فتظهر

الشماتة؟!.. وهكذا فعلت هند بنت عبد اللّه بن عامر مع يزيد حين أدخلوا الرأس والسبايا؛ وسب معاوية علياً، لأنه يحمل علم الله والرسول، وداس يزيد ظهر الحسين عليه السلام وصدره بسنابك الخيل، لأن فيه علم الله والرسول صلى الله عليه وآله.

وتفرد معاوية ببدع وأحداث لم يشاركه فيها أحد، حتى ولده يزيد، فلقد حول الخلافة الإسلامية إلى ملك يتوارثه السفهاء والغلمان، وألحق ابن السفاح بغير أبيه الشرعي، كما فعل مع زياد ابن أبيه، وخذل عثمان، ثم نشر قميصه مطالباً بدمه، وأعطى عهوداً للحسن، ثم نكث وأخلق. ودفن الأحياء تحت التراب، فقد دفن زياد ابن أبيه عبد الرحمن ابن حسان الغثرى حيّاً بأمر معاوية، ودبر المكايد للتفرقة بين المرء وزوجه، كما فعل مع عبد اللّه بن سلام وزوجته زينب بنت إسحاق، وسن سب الصلحاء والأولياء على المنابر[1] ووهب

---

(١) قال جاهل متعصب: إن الشيعة كفار، لأنهم يسبون بعض الصحابة. ونقول في جوابه: إن هذه النسبة رواية لم تثبت، ولكن سب معاوية علياً على المنابر ثابت بشهادة التاريخ، ومع ذلك لا تقول بكفره، فإن كان السب يوجب الكفر فمعاوية كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فالشيعة مسلمون، وإن صح أنهم يسبون، فإما أن تقول بإسلامهما معاً وإما بكفرهما معاً، والتفكيك جهل وتعصب.

مصر لابن العاص ثمناً لغدره وخيانته، وكذب على الله ورسوله، وشجع على وضع الأحاديث عن الرسول الأعظم ﷺ.

في ذات يوم صعد المنبر، وقال:

أيها الناس إن رسول الله قال: إنك ستلي الخلافة من بعدي، فاختر الأرض المقدسة، فإن فيها الأبدل، وقد اخترتكم، فالعنوا أبا تراب[1] ثم كتب كتاباً، وقرأ الناس، وفيه هذا كتاب أمير المؤمنين معاوية صاحب وحي الله الذي بعث محمداً نبياً، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فاصطفى له من أهله وزيراً كاتباً أميناً، فكان الوحي ينزل على محمد وأنا أكتبه، وهو لا يعلم ما أكتب، فلم يكن بيني وبين الله أحد من خلقه.

---

(١) قال الشيخ أبو زهرة في كتاب المذاهب الإسلامية ص ٥١: «كتبت أم سلمة زوج الرسول إلى معاوية كتاباً تقول له فيه: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه وأشهد أن رسول الله ﷺ أحبه». وفي مسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم أن رسول الله قال يوم خيبر: إني دافع الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله له، ثم دفعها إلى علي بعد أن كان قد أخذها كل من أبي بكر وعمر ورجع، ولم يفتح له.

وولى معاوية أبا هريرة على مدينة الرسول، لأنه وضع حديثاً كاذباً، وهو «أن لكل نبي حرماً، وأن حرمي بالمدينة، فمن أحدث فيها حدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأشهد بالله بأن علياً أحدث فيها». فجاء شاب من أهل الكوفة، فجلس إلى أبي هريرة وقال له: يا أبا هريرة، أنشدك الله، أسمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه؟ فقال: اللهم نعم. فقال الشاب: أشهد بالله لقد واليت عدوه، وعاديت وليه[1].

وبذل معاوية لسمرة بن جندب مائة ألف درهم ليروي عن النبي أن هذه الآية ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ نزلت في علي بن أبي طالب، وأن آية ﴿وَمِنَ

---

(١) كتاب «أضواء على السنة المحمدية» للأستاذ محمود أبو رية ص١٩١ طبعة ١٩٥٨، وهذا الكتاب جديد وفريد في بابه، لا غنى عنه للفقيه والمحدث، ولا لأي كان يريد أن يأخذ الدين من معدنه، فقد أثبت المؤلف بالأرقام والبرهان أن الصحاح الستة التي تعتمد السنة على أحاديثها لم تتخذ المقاييس العلمية لتمييز الأحاديث الكاذبة من الصحيحة، وأن الكثير من رجال الصحاح لا يجوز الأخذ بحديثهم بخاصة أبا هريرة الذي كذبه علي وعمر وعثمان وعائشة، وإني أشعر بالرغبة الملحة في تلخيصه بفصل مستقل في بعض مؤلفاتي. وعسى أن تسنح الفرصة.

ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ نـزلـت فـي قاتله ابن ملجم، فلم يقبل سمرة بالمائة ألف، فبذل له مائتي ألف، فلم يقبل، فبذل ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل، وروى كذباً وافتراء!..

علي الذي قال له الرسول: يا علي لا يبغضك إلا منافق، ولا يحبك إلا مؤمن. وقال: علي مع الحق، والحق مع علي، وقال يوم خيبر: سأعطي الراية إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، ثم أعطاها لعلي. عليّ هذا خصم لله، وابن ملجم من الذين اشتروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله!..

وليس بعجب ولا غريب أن يفتري معاوية وسمرة الكذب على الله، فالأول عدو الدين، والثاني باع دينه للشيطان، ولكن العجب من الذين يقدّسون معاوية وسمرة، ويؤمنون بعدالتهما لا لشيء إلا لصحبتهما، فقد قرر الكثير من شيوخ السنة في كتب الحديث والأصول أن جميع الصحابة عدول لا يجوز نقدهم ولا تجريحهم «واعتبروهم جميعاً معصومين من الخطأ والسهو والنسيان»[1].

---

(١) كتاب «الأضواء على السنة المحمدية» ص٣٢٢.

معاوية معصوم عن الخطأ حتى ولو تعمد الكذب على الله والرسولﷺ، وسمرة عادل، وإن باع دينه للشيطان، أما علي والحسن والحسينعليهم السلام فغير معصومين، وإن كانوا أهل بيت الرسولﷺ، بل ولو ضحوا في سبيل الإسلام بالأرواح والعيال والأطفال!..
لقد أنكر بعض الكتاب على الشيعة قولهم بعصمة من زكاهم القرآن، وطهرهم من الرجس، ولم ينكر على بعض السنة القول بعدالة الصحابة الذين هم على شاكلة معاوية وسمرة!..

معاوية عادل، لأنه بذل الأموال والمناصب لوضع الأحاديث في القدح بأخي الرسولﷺ في الدنيا والآخرة! ومعاوية مؤمن، لأنه شجع الافتراء على الله، وأمر بوضع أحاديث في فضائله مثل «كتب معاوية آية الكرسي بقلم من ذهب جاء به جبرائيل هدية له من فوق العرش». وهذا الحديث المفترى هو المصدر الوحيد لكتابة معاوية للوحي[1].

سئل النسائي وهو في دمشق عن فضائل معاوية. فقال: ألا يرضى معاوية رأساً برأس، حتى يفضل؟!.

---

(١) انظر كتاب الأضواء على السنة المحمدية ص٨١١. والنصائح الكافية لمن يتولى معاوية. ص١٧٢ طبعة ١٩٤٨.

وإذا وجد في الصحابة مثل سمرة بن جندب وأبي هريرة وابن العاص يقبضون ويكذبون فإن فيهم من يناصر الحق، ولا تستهويه الأموال والمناصب فلقد وقف جماعة لمعاوية وجابهوه بالحقيقة، وصارحوه بمثالبه ومروقه من الدين؛ وأقوالهم مثبتة في كتب السير والتاريخ، لو جمعت لجاءت في مجلد ضخم، وإليك بعضها:

كتب معاوية إلى سعد بن وقاص يستحثه على الطلب بدم عثمان فرد عليه سعد أن علياً أحق بالخلافة من غيره، لأنه شارك غيره في محاسنه، ولم يشاركه أحد في محاسنه. وكتب قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري إلى معاوية جواباً له عن كتابه: أما بعد فأنت وثني ابن وثني دخلت في الإسلام كرهاً، وخرجت منه طوعاً.

وقالت له أروى بنت الحارث بن عبد المطلب: لقد كفرت النعمة وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك بلا بلاء كان منك ولا من أبيك بعد أن كفرتم بما جاء به محمد ﷺ، فأتعس الله منكم الجدود، وأضرع منكم الخدود حتى ردّ الله الحق إلى أهله، وكانت كلمة الله هي العليا، ونبينا هو المنصور على كل من ناواه، ولو كره المشركون، فكنا أهل البيت أعظم الناس في هذا

الدين بلاء، وعن أهله غناء وقدراً حتى قبض الله نبيه مغفوراً ذنبه مرفوعة منزلته شريفاً عند الله مرضياً، فوثب علينا بعده تيم وعدي، وبنو أمية، فأنت منهم تهدي بهداهم، وتقصد بقصدهم، فصرنا فيكم بحمد الله أهل البيت بمنزلة قوم موسى عليه السلام وآل فرعون يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، وصار سيدنا فيكم بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى، حيث يقول: يابن أم إن القوم استضعفوني، وكادوا يقتلونني، فلم يجتمع بعد رسول الله ﷺ شمل، ولم يسهل وعث، وغايتنا الجنة، وغايتكم النار.



عقيل ومعاوية

كان لأبي طالب ـ واسمه عبد مناف ـ ستة أولاد: أربعة ذكور وابنتان، طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي، وأم هاني، وجمانة، وأمهم جميعاً فاطمة بنت أسد، وطالب أسن من عقيل بعشر سنين، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين، وجعفر أسن من علي بعشر سنين.

وليس فيما لدي من المصادر ذكر لجمانة سوى أنها أخت الإمام علي عليه السلام، وأما أم هاني، واسمها فاختة فقد أسلمت، وتزوجها هبيرة بن أبي لهب بن عمرو، وولدت له أولاداً، ومات وهو مشرك، وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله دخل يوم الفتح على أم هاني، وكان جائعاً، فقالت: يا رسول الله إن أصهاراً لي قد لجأوا إليّ، وإن أخي علياً لا تأخذه في الله لومة لائم، وأخاف أن يعلم بهم، فيقتلهم، فاجعل من دخل دار أم هاني آمناً، فقال رسول الله: أجرنا من أجارت أم هاني. ثم قال لها: هل عندك من شيء نأكله؟ فقالت: ليس عندي إلا كسر يابسة، وأستحي أقدمها لك. قال: هلمي بهن؛ ولما

أتته بكسر الخبز، وضعهن بالماء والملح، وقال لها: هل من إدام؟ قالت: ما عندي إلا شيء من خل، فصبه النبي على طعامه، وأكل منه، ثم حمد الله وقال نعم الإدام الخل، يا أم هاني، لا يفتقر بيت فيه خل[١].

وأسلم جعفر قبل هجرة الرسولﷺ إلى المدينة، وهاجر مع جماعة من المسلمين إلى الحبشة، وكان النبيﷺ شديد الحب له، فقد قال له يوماً: «أشبهت خَلقي وخُلقي»، وصادف قدوم جعفر من الحبشة يوم فتح خيبر، فتلقاه النبي، وقبله بين عينيه، وقال: ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً بقدوم جعفر أو بفتح خيبر، وقال له: حدثني ببعض عجائب الحبشة.

فقال: نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، بينا أنا سائر في بعض طرقات الحبشة إذا بعجوز على رأسها مكتل، فأقبل شاب يركض على فرس له، فألقاه على وجهها، وألقى المكتل عن رأسها، فاسترجعت قائمة،

---

(١) أراد النبي بهذا أن يهون على ابنة عمه، كي لا يدخل في روعها أنها قصرت بحقه، وأن يعطي درساً عاماً لجميع الناس بأن كل ما تيسر من الطعام فهو خير خلاً كان أو غيره، وإنما ذكر الخل بالخصوص، لأنه الميسور في ساعته تلك، وغير بعيد أنه لو لم يوجد عند أم هاني إلا الملح لقالﷺ: نعم الإدام الملح.

وأتبعته النظر، وهي تقول: الويل لك غداً إذا جلس الملك على كرسيه، فاقتص للمظلوم من الظالم، فجرت دموع رسول الله ﷺ على لحيته مثل الجمان، ثم قال: لا قدس الله أمة لا تأخذ للمظلوم حقه من الظالم.

وكان جعفر خير الناس للمساكين، يطعمهم ويكسوهم، ويجلس إليهم يحدثهم ويحدثونه، حتى كناه رسول الله ﷺ أبا المساكين، وكان الناس يعرفونه وينادونه بهذه الكنية، وقتل جعفر في غزاة مؤتة بالبلقاء سنة ثمان من الهجرة، وثبت عن النبي بطريق السنة والشيعة أنه قال: رأيت جعفراً يطير بجناحين في الجنة مع الملائكة.

وتزوج جعفر أسماء بنت عميس، وكانت معه في الحبشة، وولدت له هناك عبد اللّه ومحمداً وعوناً، ولما قتل عنها تزوجها أبو بكر، فولدت له محمداً، ولما توفي أبو بكر تزوجها أمير المؤمنين علي عليه السلام، فولدت له يحيى، وتوفي في حياة أبيه، ولا عقب له.

وأم أسماء بنت عميس هي هند بنت عوف بن الحارث الجرشي من جرش اليمن، وكان لهند هذه أربع بنات (١) أسماء تزوجها جعفر وأبو بكر وعلي (٢) ميمونة تزوجها رسول الله ﷺ، وهي آخر امرأة تزوجها

(٣) أم الفضل لبانة تزوجها العباس بن عبد المطلب، وهي أم ولده عبد اللّه وعبيد اللّه والفضل ومعبد وقثم (٤) سلمى تزوجها الحمزة بن عبد المطلب. فأحماء هذه الجرشية رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والحمزة وجعفر والعباس وأبو بكر، وقيل: من أحمائها الوليد بن المغيرة، وإن أم خالد بن الوليد ابنة هذه الجرشية، ولذا اشتهر أن الجرشية أكرم الناس أحماء.

أما عقيل، ويكنى أبا يزيد فقد أخرجه المشركون يوم بدر لحرب الرسول مكرهاً، فأسره مع عمه العباس رجل من الأنصار يدعى أبا بشر، ورآه أخوه علي مع الأسرى فتجاهله وحاد عنه، فقال له عقيل: يابن أم والله لقد رأيت مكاني، فتركه ولم يلتفت إليه، وهو أخوه لأمه وأبيه، وكان عقيل حاضر الذهن سريع الجواب، رآه النبي ﷺ مع الأسرى يوم بدر، فقال له: يا أبا يزيد قتل أبو جهل. فقال له عقيل: إذن لا تنازعوني في تهامة. وأمر النبي ﷺ عمه العباس أن يفدي نفسه وابن أخيه عقيلاً، فقال العباس: لا مال عندي. قال له النبي: لقد تركت مالاً عند أم الفضل، وأوصيتها به. فقال: من أخبرك بهذا؟ قال جبرائيل عن الله. فقال العباس: ما علم بهذا أحد، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. فرجع الأسرى، كلهم مشركون إلاّ العباس وعقيل

ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

وكان النبي ﷺ يحب عقيلاً، وقد صارحه بهذا الحب، إذ قال له يوماً، يا أبا يزيد إني أحبك حبين: حباً لقرابتك مني، وحباً لحب عمي إياك، وكان عقيل فقيراً كثير العيال والأطفال لا يجد ما يَسُدّ حاجتهم الضرورية من المأكل والملبس، ولما تولى الإمام الخلافة قدم عليه يسترفده، فعرض عليه الإمام عطاءه، فقال: إنما أريد من بيت المال. فقال له الإمام: تقيم إلى يوم الجمعة، فلما صلى الجمعة قال له: ما تقول بمن خان هؤلاء؟ قال: بئس الرجل. قال: إنك أمرتني أن أخونهم وأعطيك. فخرج من عنده إلى الشام.

ورحب به معاوية، وأعطاه مائة ألف درهم من مال المسلمين، وقال للناس وعقيل حاضر: هذا أبو يزيد لولا علمه بأني خير من أخيه ما تركه، وأقام عندنا، فقال عقيل: أخي خير لي في ديني، وانظر لنفسه منك، وأنت خير لي في دنياي، وانظر لي من نفسك، وقد آثرت دنياي، واسأل الله العفو.

وقال له يوماً: غلبك أخوك على الثروة. قال: نعم، وسبقني وإياك إلى الجنة.

وقال له: إن فيكم لليناً يا بني هاشم. قال: أجل،

فينا ليناً من غير ضعف، وعزّاً من غير عنف، وإن لينكم يا معاوية غدر، وسلمكم كفر. فقال معاوية: ولا كل هذا يا أبا يزيد.

وفي ذات يوم أقبل عقيل على معاوية، وعنده عمرو بن العاص فالتفت معاوية إلى ابن العاص، وقال له: لأضحكنك من عقيل؛ ولما سلم، قال له معاوية: مرحباً بمن عمه أبو لهب ـ مع العلم بأن أبا لهب عم النبي كما هو عم عقيل وعلي ـ فقال عقيل: وأهلاً بمن عمته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ـ يشير إلى أم جميل العوراء زوجة أبي لهب، وهي أخت أبي سفيان وعمة معاوية ـ فقال معاوية ما ظنك بعمك أبي لهب. فقال: إذا دخلت النار، فخذ على يسارك تجده مفترشاً عمتك حمالة الحطب.

وغدا يوماً على معاوية، وجلساؤه حوله، فقال له معاوية: يا أبا يزيد أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك، فقد وردت عليهما. فقال عقيل: مررت بعسكر أخي فإذا ليل كليل رسول الله، ونهار كنهاره، ليس في القوم إلا مصلي لله أو قارىء للقرآن، ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين الذين نفروا برسول الله ليلة العقبة.

ثم قال: من هذا عن يمينك يا معاوية قال: هذا

عمرو بن العاص. قال: هذا الذي اختصم فيه ستة نفر، فغلب عليه جزار، فمن الآخر قال: الضحاك بن قيس. فقال: والله لقد كان أبوه يجيد خصي التيوس، فمن الآخر قال: أبو موسى الأشعري. قال: هذا ابن السراقة. فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه سأله معاوية عن نفسه ليقول فيه ما قال فيهم، ويخفف عنهم، فقال له: ما تقول فيّ؟ قال: دعني منك. قال: لتقولن. قال: أتعرف حمامة؟ قال: ومن حمامة؟ قال: سل عنها. فسأل عنها معاوية، فقيل له: هي جدته أم أبي سفيان كانت بغيّاً في الجاهلية، وصاحبة راية تدل على مهنتها، فقال معاوية لجلسائه قد ساويتكم وزدت، فلا تغضبوا.

لقد اضطر عقيل للشخوص إلى معاوية، وأعطاه هذا كل ما يريد وفوق ما يريد، وحاول بجميع خدعه وحيله أن يجد لنفسه مدخلاً في قلب عقيل، أو ينتزع منه كلمة باطل ترضيه وتغضب الله فلم يفلح، بل على العكس، فكان كلما أراد شيئاً من هذا أجابه عقيل بما يفضحه ويخزيه، كما رأينا.

ولما بلغ عقيلاً خذلان أهل الكوفة لأخيه كتب إليه يعرض نفسه وأولاده عليه، وقال له فيما قال: والله لا

أحب أن أبقى في الدنيا بعدك، إن عيشاً نعيشه بعدك لغير هنيء ولا مريء ولا نجيع، فأعفاه الإمام، ولم يكلفه وأولاده حضور الحرب، وكأن الإمامعليه السلام نظر بعين الغيب، فادخر أولاد أخيه إلى يوم ولده الحسين، فقد قتل من ولد عقيل مع الحسين ١٣ شهيداً ٨ من أولاده و ٥ من أحفاده. توفي عقيل سنة ٥٠ من الهجرة عن ست وتسعين سنة.

وصلى الله على محمد وآله، وعلى عقيل وأولاده وأحفاده.

الفهرس

صدر حديثاً

عن دار التّيار الجديد

الإنسان والقضاء والقدر	مرتضى مطهري
الفتاة قبل الزواج نصائح وإرشادات	علي خليفة
رحلة الإنسان إلى عالم الآخرة	هنادي قانصو
المرأة من الضياع إلى القرآن	ناجي النجار
الإسراء والمعراج	هنادي قانصو
ما بعد كربلاء	الشيخ محمود قانصو
القرآن معجزة الله الكبرى على الأرض	د. يوسف مروّة
محمد النبي العالم والرسول المعلم	د. يوسف مروّة
حقائق حول إثبات بداية الشهور	الشيخ إبراهيم فواز
التداوي بالأعشاب والنباتات	داوود الأنطاكي
عجائب الطب النباتي	عثمان محمد منصور
كنوز الطب العربي	محمد عارف
مناجاة أهل البيت	نبيل شعبان
الشفاء بالقرآن والدعاء	إعداد الدار
الحسين والقرآن	محمد جواد مغنيّة
المجالس الحسينية	محمد جواد مغنيّة
إمامة علي بين العقل والقرآن	محمد جواد مغنيّة